د. يحيى بن إبراهيم اليحيى

المربي

مُشاهَداتٌ

في بِلادِ البُخارِي

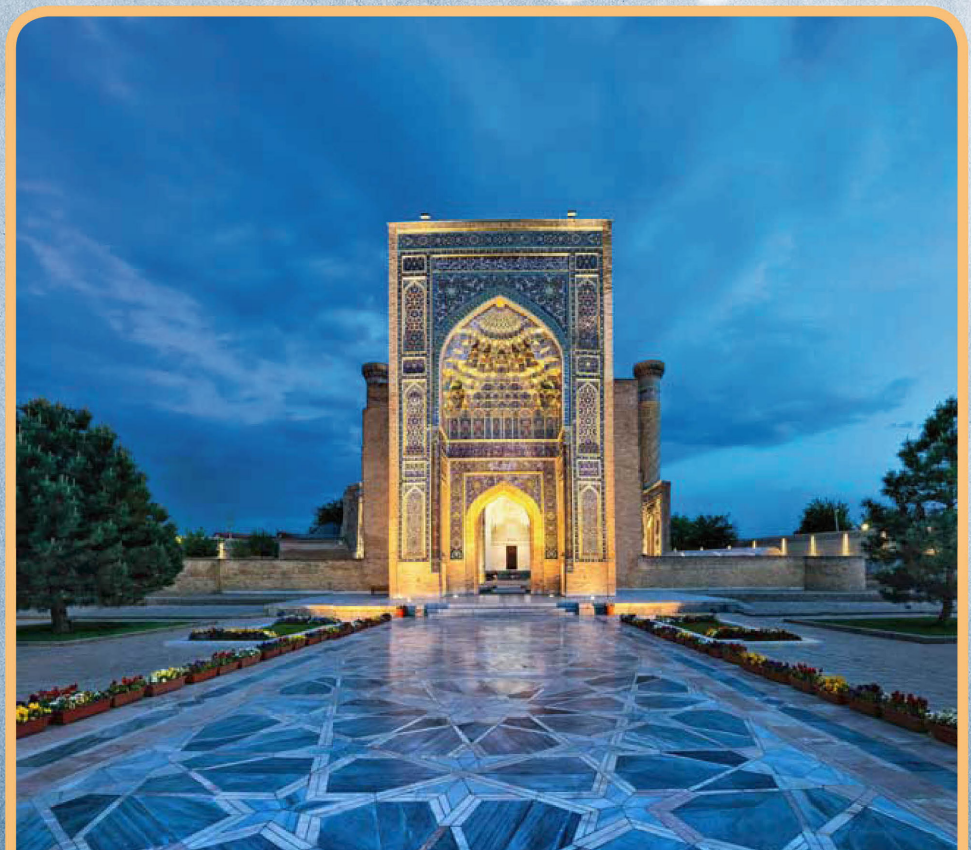

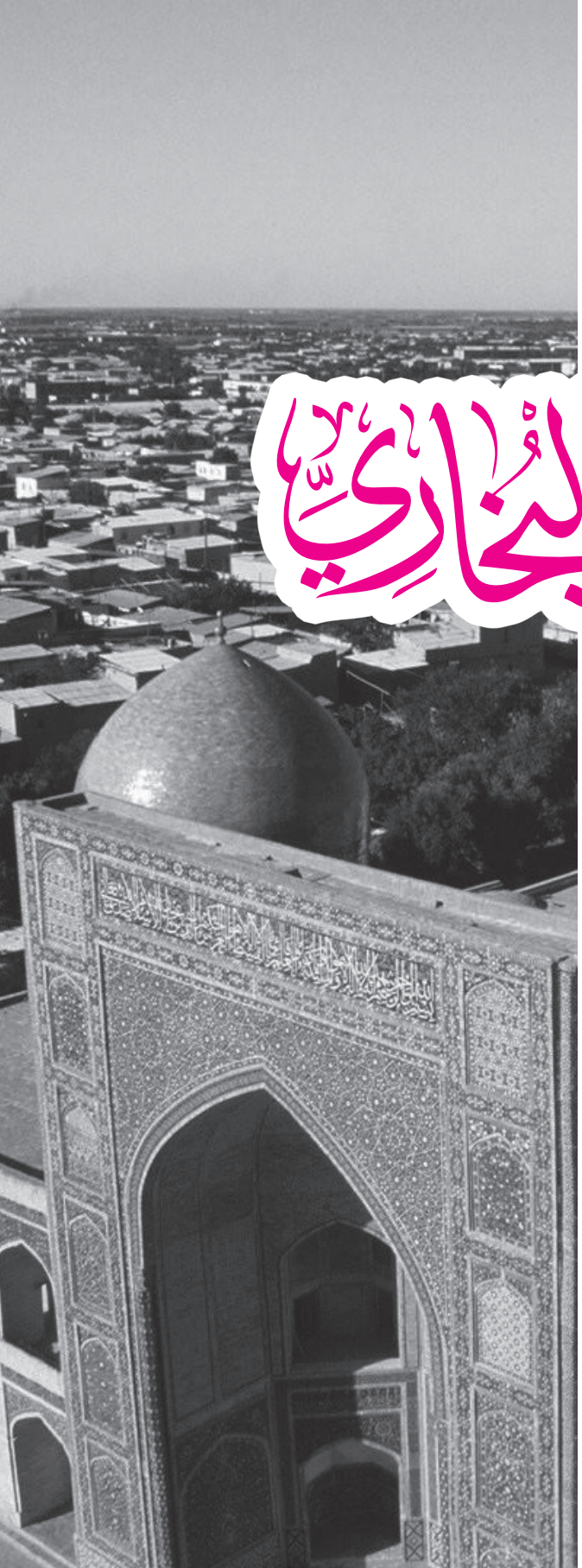

مُشَاهَدَاتٌ في بِلَادِ البُخَارِيِّ

تأليف
د. يحيى بن إبراهيم اليحيى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمَدَه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهدِه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، **أما بعد:**

فقد بُعثت من قِبَل الجامعة الإسلامية شهرَ شوال من عام ١٤١٢هـ إلى بلادِ ما وراءَ النهر (الجمهوريات السوفييتية سابقًا)؛ لاختيار طلابٍ للدراسة في الجامعة، وهي أوَّلُ رحلة تقوم بها الجامعةُ إلى تلك البلاد، بل إنها من أوائل اختراقات السور الحديدي الذي فرضته الشيوعية على أهل تلك البلاد التي ظلت مجهولةً لأكثرَ من سبعين عامًا! ذاق فيها إخواننا هناك ألوانًا من البؤس والاضطهاد ومحاولةِ طمس هُوِيَّتِهم الإسلامية!

وإذ إنني قد بَقِيتُ في تلك البلاد أكثرَ من عشرين يومًا وكانت لي فيها انطباعات ومشاهدات أحببت أن أسجِّلها؛ ليطَّلِع عليها إخواني المسلمون، ولأبيِّن بها بعضَ الصور من حياة إخواننا هناك، وما يحتاجونه من دعم إخوانهم، ولتبقى تذكارًا لفترة مهمة من تاريخ تلك البلادِ المباركة بلادِ العلم والعلماء.

ولقد أخذت هذه البلاد طابَعَ المناطق المجهولة التي كُشِفت أوَّلَ مرة؛ نظرًا للسور الحديديّ الذي ضُرب عليها؛ وللتجهيل الذي فُرض على الناس طَوالَ

حقبةٍ طويلة من الزمن زادت على نصف قرن، حتى جعل المسلمون يَتُوقُون إلى زيارتها، أو سماع أخبارِها.

وبعد زيارتي لها ألحَّ علي عددٌ كبير من الطلاب، وطلبوا مني إلقاءَ محاضرة عن تلك البلاد، فاستَجبتُ لهم وألقَيتُ محاضرةً في صالة المحاضرات الكبرى في الجامعة الإسلامية بعنوان: (**مشاهداتٌ في بلادِ البخارِي**)، ثم عقدتُ العزم على طباعتها بهذه الصورة المختصرة.

وأسأل الله أن يجعلَها من العمل الصالح المقبول، وأن يَنفع بها قارئَها.

د. يحيى بن إبراهيم اليحيى

محرم ١٤١٣هـ

محاور الحديث

- أولًا: عالَمٌ جهلناه أرضًا وتاريخًا.
- ثانيًا: الشيوعية وطَمْس الهوية الإسلامية.
- ثالثًا: المسلمون صمودٌ وتصدٍّ للإلحاد.
- رابعًا: مشاهدات تَسُرُّ المسلم.
- خامسًا: لنكن صورة طيبة للإسلام.
- سادسًا: كل هؤلاء يعملون فأين عَمَلُ أهل السنة؟!
- سابعًا: حاجة المسلمين هناك.
- ثامنًا: وصيةٌ للمسافر.

أولًا: عالم جهلناه أرضًا وتاريخًا

إن الإسلام رَبَط بين أتباعه بِرباط وثيق، مبناه على التراحُم والمحبة والتآلف، فمَن كان مؤمنًا وجبت موالاتُه، ومَن كان كافرًا وجَبتْ معاداته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥-٥٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «المواساة للمؤمنين أنواع: مواساة بالمال، ومواساة بالجاه، ومواساة بالبدن بالخدمة، ومواساة بالنصيحة والإرشاد، ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم، ومواساة بالتوجُّع لهم، وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلَّما ضَعُفَ الإيمان ضعفتِ المواساة، وكلَّما قوِيَ قوِيَتْ، وكان رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظمَ الناس مواساةً لأصحابه بذلك كلِّه، فلأتباعه من المواساة بحسب اتِّباعِهم له»[(١)].

فحيثُما كان مسلمٌ وجبَ على المسلمين أن يساعدوه وأن يَذُبُّوا عنه، ولكنَّ الناظرَ في حال المسلمين اليومَ يجدُ أنَّ المستعمِر -المخرِّب- قد نجح في زَرْع الفُرقة بينهم بوضع شعاراتٍ وروابطَ تسبَّبتْ في تكتُّلاتٍ وطنيَّةٍ ولُغَويَّة وغيرها، حتى أصبح كثيرٌ من المسلمين كأنَّهُ لا يَعنيه في قليلٍ أو كثيرٍ ما يقعُ لإخوانه الذين في خارج قطره، ويقول: ما لي ولهم وما صلتي بأهل تلك البلاد؟!

❁ ❁ ❁

(١) الفوائد (ص٢٢٢).

إني تذكرت والذكرى مؤرِّقةٌ ... مجدًا تليدًا بأيدينا أضعناهُ
أَنَّى اتَّجَهتَ إلى الإسلام في بلدٍ ... تجدْهُ كالطيرِ مَقْصُوصًا جناحاهُ
كم صرَّفَتْنا يدٌ كنَّا نُصرِّفُها ... وبات يَملكُنا شعبٌ مَلكناهُ

❁❁❁

كم يَستغيثُ بنا المستضعفون وهُمْ ... أسرَى وقَتْلَى فما يَهتزُّ إنسانُ
ما ذا التقاطعُ في الإسلام بينَكُمُو ... وأنتُمُو يا عبادَ الله إخوانُ
ألَا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هِمَمٌ ... أما على الخير أنصارٌ وأعوانٌ؟!

فأين نحنُ مِن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:١٠]، وقولِهِ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٤]، وأين نحنُ مِن قول الله تعالى في وصف أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]؟! بل أين نحنُ مِن قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن للمؤمن كالبُنيان يَشُدُّ بعضُه بعضًا**» وشبَّك بين أصابعه[(١)]، وقوله: «**تَرَى المؤمنين في تراحُمِهم وتَوادِّهم، وتعاطُفِهم كمثَل الجسد إذا اشتكى عُضوًا تداعى له سائرُ جسَدِهِ بالسَّهَر والحُمَّى**»[(٢)].

إنَّ الكفارَ ملَّةٌ واحدة يوالي بعضُهم بعضًا، وإنَّ المؤمنين إذا لم يتَّحِدوا ويوالِ بعضُهم بعضًا فسيَحُلُّ الفسادُ الكبير والفتن العظيمة: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال:٧٣].

---

(١) أخرجه البخاري (ح ٢٤٤٦) واللفظ له، ومسلم (ح ٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (ح ٦٠١١) واللفظ له، ومسلم (ح ٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

لو نظرنا إلى حالتنا اليومَ لوجدنا أننا لم نُعط إخواننا حقَّهم حتى في الأمور الشكلية! فلم تتسع صدورنا لهم حتى في الخرائط الجغرافية، فقد وضعنا اسم المستعمِر -المخرِّب- بدلًا من اسمهم، وإن شئت فارجِع إلى الخرائط الجغرافية الكبيرة أو الصغيرة فهل ستجدُ اسم الدُّول -لا أقول المدن- الإسلامية في الاتحاد السوفييتي (سابقًا)؟! لا، إنك ستجد بالخطِّ العريض على تلك القارة (الاتحاد السوفييتي)!! وأما مناطقُ المسلمين، ودولهم، وأراضيهم، ومدُنُهم التاريخية التي ينتمي إليها علماؤنا، فلا تجد لها ذكرًا في الخرائط، ولقد تعبتُ كثيرًا في الخرائط الجغرافية لعلِّي أُحدِّد موقعَ مدينةِ بُخارَى، أو سمرقند، أو نَسا، أو خوجند، فلم أهتدِ إليها! وهذا يدلُّ على الوصاية التي فُرضت على المسلمين في تعليمهم وإعلامهم!

وإذا كان كثيرٌ منا يجهل مواقعَ المسلمين هناك فعدمُ معرفتهِ بتاريخهم وأحوالهم أولى، ولذا فإني سأذكر نُبذةً عن تاريخ هذه البلاد وجغرافيتها.

لمحة تاريخية:

لقد فتح المسلمون بلاد أذربيجان من هذه المنطقة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، على يد حذيفةَ بنِ اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي سنة خمس وخمسين للهجرة عَبَر سعيدُ بن عثمان بن عفان -رحمه الله تعالى ورضِيَ عن أبيه- نهرَ جيجون إلى بُخارى، فصالحه أهلها، ثم عَبَر إلى سمرقند، فصالحه أهلها أيضًا، ولكن لم تَلبثْ حتى نقضت العهد بعد ذلك، ولم تخضع هذه الديارُ للإسلام تمامًا إلَّا في عهد الوليد بن عبد الملك، على يدِ القائد الشجاع قتيبة بن مسلم الباهليّ الذي أرسى قواعدَ الإسلام في بلاد ما وراءَ النهر، ما بين سنتي سبع وثمانين وأربع

وتسعين للهجرة، ومن ذلك التاريخ أصبحت تلك البقاعُ ديارًا إسلامية خاضعة بأكملها لدين الله عَزَّوَجَلَّ[١].

وفي القرن السابع الهجريِّ دخل التتارُ الإسلامَ، فخضعتْ جميعُ مناطقِ ما يُسمَّى اليوم بالاتحاد السوڤييتي، حتى موسكو نفسُها قد بقيت في ظل الإسلام أكثرَ من قرنين![٢].

وبعد سقوط القسطنطينية في يد المسلمين تحوَّل النصارى إلى روسيا، فدخل الروسُ في النصرانية وأصبحت مَعْقِلًا لهم، ثم قاموا بشَنِّ حروبٍ شرسةٍ على المسلمين بقيادة إيڤان الثالث سنة خمس وثمانين وثمانمائة للهجرة حتى سقطت موسكو، ثم جاء حفيدُهُ إيڤان الرهيب فقام بإبادة المسلمين فيها حتى أباد مُدُنًا بأسرها، ثم بدأ الروس النصارى يزحَفُون على آسيا الوسطى، فسقطت (طاشقند) عاصمةُ أوزبكستان -حاليًا- سنة ١٢٨٢هـ، ثم سقطت سمرقند سنة ١٢٩٠هـ، ثم سقطت بُخارَى بأيديهم سنة ١٢٩١هـ، ثم سقطت عشق أباد وبلاد التركمان[٣].

هذا وبعد أن ذاق المسلمون في تلك المدَّة -تحت حُكم القياصرة- أبشعَ ألوان الذلِّ والاضطهاد والاحتقار والابتزاز لأموالهم قامتِ الثورة البلشفية الشيوعية سنة ١٩١٧هـ، فقام الشيوعيون بغزْوِ بلاد المسلمين واحدةً تِلْوَ الأخرى حتى سيطروا على تلك البقاع كلِّها في أقلَّ مِن عشرين عامًا[٤].

---

(١) انظر: المسلمون في الاتحاد السوڤييتي (١/ ٣٧).
(٢) انظر: المسلمون في الاتحاد السوڤييتي (١/ ٢٧).
(٣) المرجع السابق (١/ ٤٣-٤٨، ٣٢٠).
(٤) المرجع السابق (١/ ٥٥) وما بعدها.

عدد السكان ونسبة المسلمين فيها:

وكان يُقدَّر عددُ سكان الاتحاد السوفييتي السابق بأكثر من ٢٤٠ مليون نسمة، معظمُهم من النصارى، أما نسبة المسلمين فقد اضطرب الكتَّابُ فيها اضطرابًا كثيرًا، وذلك الاضطرابُ راجع إلى اختلاف انتمائهم، فمثلًا الأُمَمُ المتحدة والنصارى يَرون أنَّ نسبة المسلمين لا تزيد على ١٠٪، لكن يرى المسلمون أنهم يزيدون على ٣٠٪، والوسَطُ في ذلك -وهو الذي اتَّضح لكثير من زُوَّار تلك البلاد- أنَّ نسبة المسلمين تصل إلى ٢٥٪، فالمسلمون ما بين ٦٠-٨٠ مليون نسمة[(١)].

الله أكبر! هذا العددُ الهائل من المسلمين بَقُوا تحتَ وطأة الشيوعية أكثرَ من سبعين عامًا، وهم في عزلةٍ تامَّة عن إخوانهم، لا يعرفون عنهم شيئًا البتَّةَ! أين نحن من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! حيث كان يدعو لأناس حبُسوا بِمكة يُعَدُّون على أصابع اليد الواحدة، ويَقنُتُ لهم في صلاته سائلًا الله أن يَفُكَّ أسرهم: «**اللهم أنجِ عياشَ بنَ أبي ربيعة، اللهم أنج الوليدَ بنَ الوليد، اللهمَّ أنج سَلَمةَ بنَ هشام**»[(٢)]، يتفقَّدُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شخصًا أو شخصين أو ثلاثةً فينصُّ عليهم في دعائه، وإخوانُنا هؤلاء ليسوا ألفًا ولا ألفين بل ملايين لا نعرف عنهم شيئًا! فضلًا عن الدُّعاء لهم دعاءً عامًّا، فضلًا عن تخصيصهم به.

نحن في عالم التغييب للمسلمين! أتعلمون أنَّ عددَ الجمهوريات والدول الإسلامية يزيد على أربعَ عشرةَ جمهورية، ولو سَألتَ: ما هي هذه الجمهورياتُ؟ فالمثقَّف يذكر لك واحدةً أو اثنتين منها!!

---

(١) انظر: كتاب المعلومات (ص١٥٩)، وتقريرًا صادرًا عن هيئة الإغاثة الإسلامية (ص٢٠) عام ١٤١٢هـ.

(٢) جزءٌ من حديث أخرجه البخاري (ح٦٣٩٣) واللفظ له، ومسلم (ح ٦٧٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كما أن للمسلمين وُجودًا في البلاد النصرانية، مثل روسيا وأكرانيا وچرچيا وغيرها، حتى قيل إنَّ نسبة المسلمين فيها تُقدَّرُ بـ ١٠٪.

وهذه قائمة ببعض الجمهوريات وسكانها ونِسَبِ المسلمين فيها، ولكنّ هذه النِّسَبَ وهذا التَّعدادَ ليس دقيقًا بل هو مضطربٌ -كما ذكرتُ قبلُ- بسبب التغييب الذي استمرَّ لمدة سبعين عامًا، عاشتها تلك البلاد في مَعزِلٍ عن المسلمين! ولذلك لم يقم أحدٌ من المسلمين بإعداد دراساتٍ علميةٍ دقيقة عن تلك البلاد:

١- جمهورية قازقستان أو قزخستان، وعاصمتها ألماتا (أستانة حاليًا)، عددُ السكان أكثرُ من ستَّةَ عشرَ مليونًا، ونسبة المسلمين تزيد على ٥٠٪، ومعظم الرؤوس والمحطاتِ النووية والحربية ومحطاتِ الفضاء والصواريخ النووية تقع في هذه الجمهورية، وتَربِضُ على مخزونٍ ضخم من البترول، وهي أكبرُ الجمهوريات من حيثُ المساحة.

٢- جمهورية أوزبكستان، وعاصمتُها طشقند، وهي أكبرُ الجمهوريات من حيثُ السكان، إذ يزيد عددُ سكانها على عشرين مليونًا، ونسبةُ المسلمين فيها تزيد على السبعين بالمائة ٧٠٪، وتقع فيها معظمُ المدن ذاتِ التاريخ المجيد مثل: بُخارَى وسمرقند وخوارزم وفرغانة وغيرها.

٣- جمهورية تركمانستان، وعاصمتها عشق آباد، سكانها يزيدون على أربعة ملايين، ونسبة المسلمين فيها أكثرُ من سبعين بالمائة، وفيها من المدن التاريخية مدينة (مرو)، وهي مدينةٌ مشهورة، خرَّجَت عددًا من الأئمة والعلماء، من أشهرهم: إمامُ أهلِ السنة أحمدُ بن حنبل، وعبدُ الله بن المبارك، وإسحاقُ بن راهويه، رحمة الله عليهم أجمعين.

٤- جمهورية قرقيزستان، وعاصمتها فرونزه (بشكيك حاليًا)، سكانها يزيدون على أربعة ملايين.

٥- جمهورية طاجكستان، وعاصمتها دوشنبيه، وسكانها يزيدون على ستة ملايين، ويتكلم أهلها باللغة الفارسية، فَيُخشَى عليهم من التضليل الإيراني الرَّافضي.

وهذه الجُمهورياتُ تُسمَّى في التاريخ الإسلامي (بلاد ما وراء النهر) أي: نهر جيحون، وتُسمَّى أيضًا (تركستان الغربية)، وأما تركستان الشرقية فإنها تقع اليومَ تحتَ سيطرة الصين، وأسمَوْها (سكيانج)، عجَّل الله فرَجَ إخوانِنا هناك.

وهناك ستُّ جمهورياتٍ جنوبَ غربِ جبال أورال، وتقع غربَ موسكو، وهي: بشكيريا وعاصمتها أوفا، وتتاريا وعاصمتها قازان، وقازان هذه كانت عاصمة القطاع الذهبي الذي خضعت له موسكو إبان الحكم الإسلامي لها أكثرَ من قرنين، وأدمورت، وماريا، وجوفاش، وموردوف[(١)].

أما شمال القوقاز فتقع فيه بعض الجمهوريات الإسلامية وهي: داغستان وعاصمتها محج قلعة، والشيشان وعاصمتها غروزني، والأنقوش وعاصمتها أورزمـي، والكبردين بلقار وعاصمتها نلتشك، وقارتشاي وعاصمتها تشركيسك[(٢)].

وهناك جمهورية أذربيجان، وعاصمتها باكو، وتقع وراء القوقاز بين بحر قزوين والبحر الأسود، ويزيد سكانها على ستة ملايين، يمثل المسلمون فيها

(١) انظر: المسلمون في الاتحاد السوفييتي (١/ ١٠٧-١١٧).
(٢) المرجع السابق (١/ ١٥١-١٦٧).

سبعين بالمائة ٧٠٪، ونسبة أهل السنة فيها تزيد على ٢٠٪، وهذه نسبة طيبة وإن كانَ الرافضة يحاولون التقليل من هذه النسبة وتغييب إخوانِنا أهل السنة في تلك البلاد!

وبعضُ هذه الجمهوريات لها استقلالٌ ذاتيّ، وتسعى إلى الاستقلال التام عن بلاد النصارى (روسيا).

الجمهوريات ذات الاستقلال الذاتي:

بشكيريا: وعاصمتها أوفا.

تتاريا: وعاصمتها قازان.

داغستان: وعاصمتها محج قلعة.

الشيشان: وعاصمتها غروزني.

أنقوشيا: وعاصمتها أورزمي.

أوستينا الشمالية: وعاصمتها أردجونيكيدزي.

الكبردين بلقار: وعاصمتها نلتشك.

وقارتشاي: وعاصمتها تشركيسك.

هذه لمحةٌ مختصرة عن الجانب التاريخيّ والسكاني، أما من ناحية الموارد فإن الأقاليم الإسلامية تملِك أعظم الثروات والموارد فيما يُسمَّى سابقًا بالاتحاد السوفييتي، فعلى سبيل المثال: فإن ٥٠٪ من نفط الاتحاد السوفييتي يوجد في الأقاليم الإسلامية، كما يوجد بها ٩٠٪ من حقول استخراج اليورانيوم، و٩٥٪ من الفوسفات، و١٠٠٪ من الزئبق، و٦٨٪ من الرصاص والقصدير، و٩٠٪ من الكروم.

كما يُزرَع ٩٦٪ من القطن، ويوجد بها ٧٥٪ من الثروة الحيوانية، و٧٨٪ من الصوف، و٧٦ من إنتاج الحرير[(١)].

إنَّ هذه الأرقامَ -وإن كانت غيرَ دقيقة- لَتثيرُ الدهشة! فهذه البلاد موارد عظيمة للمسلمين من حيث تنوُّعُ ثرواتها، ومن حيث قوَّتُها السكانية، ولكنَّ أمةَ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فرَّطت في دينها وتركت تمسُّكَها بكتاب ربِّها وسنة نبيِّها أصابها الذُّلُّ والصَّغار.

لمَّا تَركْنا الهُدَى حلَّتْ بنا مِحَنٌ ... وهاجَ للظُّلم والإفسادِ طُوفانُ

وقد كانت هذه المواردُ كلُّها تُسخَّرُ لخدمة الشيوعية، وتُستَغلُّ لنشر الإلحاد وضرب المسلمين داخلَ البلادِ وخارجَها، وما بلادُ الأفغانِ عنَّا ببعيد!

ولذا أبدى الغربيُّون قَلَقَهُم إزاءَ استقلال الجمهوريات الإسلاميَّة، ويرى المُحلِّلون أنَّ الغربَ لن يتهاون أبدًا إزاءَ القوة الكامنة في الجمهوريات الإسلامية، فقد حذَّر ساستُه من مخاطر ما أسْمَوْهُ بالقنبلة الإسلامية في مواجهة القوميات الأخرى![(٢)].

(١) نقلًا عن تقرير إخباري عن الجمهوريات الإسلامية والأقليات المسلمة في الاتحاد السوفييتي، تقدَّمت به لجنة البر الإسلامية (ص٩٠).

(٢) نقلًا عن تقرير إخباري عن الجمهوريات الإسلامية والأقليات المسلمة في الاتحادالسوفييتي، تقدَّمت به لجنة البر الإسلامية (ص١٠).

ثانيًا: الشيوعية ومسخ الهُوِيَّة الإسلامية

استخدمت الشيوعية جميعَ وسائلها وأساليبِها في محاولة طَمْس الهوية الإسلامية وتحويل المسلمين إلى ملاحدة، فسَلَكت جميعَ الطرق، وسخَّرت جميعَ قُوَاها لهذا الغرض، حتى ظنَّ مَن لا يعرف حقيقة هذا الدين بأنه لن يبقى في هذه البلاد مَن يقول: لا إله إلا الله، ومن وسائلهم:

١- الاستيلاءُ على كافَّة المساجد وتحويلُها إلى متاحفَ ومستودعاتٍ وملاعبَ ومراقص وخمارات ومستشفيات... إلخ -ولا أقول هذا نقلًا عن أحد بل وقوفًا عليه-؛ ففي تركستان وحدها أُغلِق أكثرُ من ستٍّ وعشرينَ ألفَ مسجد! وجرى تحويلُ أكثرَ من سبعمائة مسجد في بلاد التتار، وخمسمائة مسجد في بلاد القفقاز إلى مواخيرَ وأنديةٍ واصطبلات![1].

٢- إغلاق جميع المدارس الإسلامية وتحويلها إلى ما حُوِّلت إليه المساجد، وكان يوجد في بلاد بُخارَى وحدها أكثرُ من ثلاثمائة وستين مدرسة قبل الثورة، وقد فنيت تلك المدارس ولم يبق منها قائمًا الآن سوى خمسين مدرسة، وقد جُعِلت متاحفَ ومسارِحَ وغيرَ ذلك.

وقد اطَّلعتُ بنفسي على مدارسَ في (خوارزم) في مدينة (خيوة)، ودخلت مدرسةً كبيرة مكتوبٌ على بابها: «مدرسة محمد أمين خان» بُنِيَتْ سنة ١٢٧٥هـ، وبجانبها عِدَّةُ مدارس، وللمدرسة منائرُ جميلة، وقد كُتِب في مقدمة المدرسة:

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي (١/ ٢٦).

«قد أوصلَ الله تعالى اختتامَ بناءِ هذه المدرسة التي هي خيرُ المدارس في العام سنة ١٢٧٥هـ بأمر سلطان الزمان الغازي محمد أمين بهادر خان»، وهذه المدرسة ذات بناءٍ شامخ، وجمالٍ يأخذ بالنفس، ولَمَّا دخلنا بوَّابتها التي هي بين منارتين وجدتُ في الباب امرأةً على مكتبٍ فسألناها فقالت: هذا فندق، ثم دخلنا فرأينا سُلَّمًا ينزل تحت الأرض فسألتُ عن ذلك، فقيل: هذه خمارة! والموسيقى تُضرب بين جَنَباتها! ثم خرجتُ من المدرسة إلى مدرسة مجاورة فإذا فيها دارٌ للسينماء! وفي بوابة هذه المدرسة المتاحف.

وهذه المدينةُ إذا دخلتها تطالعُك المدارس المَشِيدة ومنائرُها العالية الجميلة وهي تبكي أطلالَها وعُمَّارَها ورُوَّادَها!

٣- حرْقُ جميعِ المصاحف والكتب وإغراقُها، وقد حدَّثني الثقاتُ أنَّ الشيوعيين جَمَعُوا كأمثال الجبال من الكتب في بُخارَى وسمرقند وأحرقوها!

٤- منعُ اقتناءِ أيّ مصحف أو كتاب، وهذا المنع اضطرَّ كثيرًا من الناس إلى إحراقها أو دَفْنِها في الجدران، أو حفظها على خوفٍ وقَلَقٍ عظيمين؛ لأنَّ من وُجد في حوزته كتابٌ أو ما في حكمه ممَّا يَمُتُّ للعلم الشرعي أو اللغة العربية بصلةٍ فهو معرَّض للمحاسَبة، ولهذا لا يكاد يوجد عند كثير من المسلمين اليوم مصحف ولا كتاب، بل لا تجدها في مساجدهم أيضًا.

٥- من وسائل الشيوعيين في طَمْس الهوية الإسلامية نشرُ الكتب الإلحادية والأدب الإلحادي.

٦- تسهيلُ الانضمام إلى الحزب الشيوعيِّ والتمتع بامتيازاته.

٧- تزييفُ التاريخ الإسلامي الخاص بتلك المنطقة، فقد حاولوا أن يغرسوا في أبنائها أنها لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة، وإن ذكروا فتوحات المسلمين فإنهم يذكرونها على سبيل الغزو والسيطرة والاستعمار وإذلال شُعوب المنطقة، ولذلك كثيرًا ما يوجد في شوارعهم رسومٌ وصور لأكابِر الملاحدة الذين قاموا بمكافحة الإسلام في القديم والحديث.

٨- فرضُ اللغة الروسية ومحاربةُ الأحرف العربية، وهذا شاملٌ جميعَ نواحي الحياة؛ فاللغة الروسية مفروضة رسميًّا في المعاملات وجميع الدوائر الحكومية، وفي أغلبِ المدارس، حتى المزارع والمتاجر لأنها بعمومها تحت سيطرة الدولة فلا يمكن التخاطبُ على الأقل كتابيًّا إلا بالروسية.

٩- منعُ النساء من الحجاب الشرعي، وقد أقيمت الاحتفالاتُ الرسمية الإلزامية لحرق الحجاب، حتى أَعْرَوْا نساءَ المسلمين، فأصبح أكثرُ نساء المسلمين اليومَ يَلبسْنَ لباسَ الأوربيات.

١٠- تسخيرُ نساءِ المسلمين في الأعمال المهنية الشاقَّة، فحيثُما توجّهت نحوَ أيّ مزرعَةٍ تجدْ نساءَ المسلمين يمسكن بالمساحي لحراثة أرض الدولة، وأما الشوارعُ فإنَّ تنظيفَها مُوكَل إلى عجائزِ المسلمين، فإلى الله المُشتكى.

١١- تهجيرُ الكفار إلى بلاد المسلمين؛ ليمتَزِجوا بهم وكذا العكس، ولذا تجد الروس والكوريين وغيرَهُم قد سكنوا في أحياء المسلمين وقراهم، وكلُّ هذا إمعانًا في طمس الهُوية الإسلامية، فأصبحتَ تجدُ المسلمَ بجواره الروسيَّ النصرانيّ

أو الملحدُ والكوريّ الوثني؛ فالبلادُ التي جُلُّ سكانها مسلمون هُجِّروا منها إلى بلاد النصارى ثم أُحِلّ النصارى مَحَلَّهم.

١٢- تهجيرُ أقوامٍ بأكملهم مثل مسلمي القرم، فقد قام ستالين بقتل عددٍ كبيرٍ منهم بالتجويع، ثم هجَّر ما يزيد على ٢١٠ ألف مسلمٍ إلى مناطقَ نائيةٍ في عربات الماشية، فمات أكثرُهم في منتصف الطريق، حتى لم يَبْقَ في ديارهم شخص واحد[١].

١٣- وضعُ أصنامهم في كل حيٍّ وشارع وناحية، فما تدخل شارعًا ولا محلة ولا قرية إلا وتجدُ تمثالَ لِينين أو غيرِهِ واقفًا على مِنَصَّة مرتفعة، ويعلم الله أنّني ما دخلت قرية ولا مدينة إلا وأجدُ في شوارعها صُوَرَ الملاحدة من القادة، أو ما يسمونهم بشهداء الحرية كالذين قُتِلوا في حروبهم.

١٤- تسميةُ الأحياء والمدن والقرى والشوارع والمدارس وغير ذلك بأسماء رموز الحرب، وهذا شاملٌ لجميع المدن والقرى في طُول البلاد وعَرضها، فمثلًا: يقولون: قرية لينين، حي ماركس، شارع ستالين وهكذا، فأصبح الطفل ينشأ لا يعرف سوى لينين وستالين وماركس، وغيرِهم من دهاقنة الإلحاد.

١٥- كتابةُ عبارات إلحادية عند نهاية المدن والقرى بدلًا ممَّا نكتبه نحن: (تصحبكم السلامة أو الله يحفظكم) فيكتبون: لينين معكم...

١٦- التعليمُ الإلحادي الجبري لجميع الأطفال من الجنسين، ولمدة عشر سنوات، يتعلم الطفل فيها إنكارَ الخالق وتفسير التاريخ تفسيرًا ماديًّا، ثم تؤكد ذلك وسائلُ الإعلام المقروءةُ والمسموعةُ والمرئية.

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي (١/ ٢٥).

فالمسلم ملزمٌ أن يُدخِل ولدَه وابنتَهُ المدرسة لمدة عشر سنوات، فيَدخُل الولدُ وعمره سبع سنوات ويتخرَّج وعمرُه سبعَ عشرةَ سنة، فسِنُّ المراهقة كلُّها يعيشها بين الشيوعيين، وبعد التخرُّج يُختطَف للتجنيد الإجباري مُدَّة عامين، كل هذه المدة في يد الملاحدة ليس في يد أبيه وأمه، وإذا رجع إلى البيت فلا مصحف ولا كتاب، إنما التلفزيون والمجلة التي تُعلِّم الكفر والإلحاد فماذا ستكون حالة هذا الولد؟!

١٧- منعُ جميع شعائر الإسلام، فكل ما يَخطُر على البال من شعائر الدين كان محظورًا في تلك الجمهوريات إبَّان الشيوعية.

١٨- تسخيرُ برامج الإعلام كلّها لغرس الإلحاد والكفر، فالتلفزيون مثلًا ثلاث قنوات: قناتان تُبَثُّ من موسكو، وقناة تُبَثُّ من نفس الجمهورية، فالمسلم حيثما وجَّه التلفزيون فهو بين هذه القنوات لا يتعدَّاها.

١٩- حظر الاتصال بالخارج على المسلمين، ومنعُ المسلمين في الخارج من الاتِّصال بإخوانهم في الداخل، ولم يقف الأمر عند هذا الحدِّ، بل هذا السور الحديدي الذي ضُرِبَ على المسلمين هناك شمل المنعَ من الاستماع إلى القنوات الإذاعية سوى الإذاعات المحليَّة؛ فلقد شاهدتُ جهاز الراديو في الفندق -وهو يُمثِّلُ الشيوعية في قمة تعصبها- وليس له مديرٌ للمحطات، كما هو عندنا تُديرُ الموجةَ لتختارَ أيَّ محطة شئت، وإنما هو عبارة عن مفتاح واحد تَضغَطُ عليه المرة الأولى فتخرج لك إذاعة موسكو، والثانية الإذاعة المحلية، فليس هناك مجال لأن تبحث عن محطة أخرى.

وحتى بعد أن سُمح بأجهزة الراديو المتطورة سُلِّط التشويش على المحطات الأخرى.

٢٠- القضاءُ على العلماء والمشايخ، وقد حدَّثني أستاذٌ في طاشقند أن أباه كان يُصلِّي بالناس ويُعلِّمُهم، فاطَّلعتْ عليه المخابرات (كي جي بي) حين خروجه لصلاة الفجر وبعد مُساءلته -وكان صريحًا معهم، فقدَّروا صراحته- قالوا: سنخفف عنك العقوبة ونشفعُ لك عند مديرنا، وفعلًا خُفِّفت عنه العقوبة، فأُعطي جزءًا من الشارع يقوم بتنظيفه ورشِّه بالماء كل يوم من قبل صلاة الفجر، يقول: حتى أُصِيب والدي بالشلل من شدة البرد، حيثُ كان عُمرُه يناهز السبعين عامًا وهذا عمله يوميًّا.

هذه أخفُّ عقوبةٍ عند الشيوعيين لعلماء المسلمين ودعاته.

٢١- إجبارُ الطلاب على الإفطار في نهار رمضان، وعلى هذه الحرب الشرسة ضد الإسلام فقد كانتِ الشيوعية تخشى من تمسُّك بعض المسلمين بإسلامهم وبقائهم عليه، فحدَّثني أحدُ الثقات قائلًا: لما كُنَّا ندرس في المدارس كان مديرُ المدرسة في صباح كل يوم من رمضان يمرُّ بنا، فيجبرنا على الشرب حتى في الأيام الشاتية، وهذا الإجبار خاصٌّ بأولاد المسلمين.

٢٢- إبادةُ المدن المُحافظة على دينها مثل: مدينة خوقند في وادي فرغانة، فقد أُبيدت هذه المدينة مرتين: في عهد القياصرة، وفي عهد الشيوعيين البلاشفة[١].

٢٣- استخدامُ الإرهاب عن طريق المخابرات والتجسُّس على الناس في بيوتهم، ووضع مراكز التفتيش عند مدخل كل مدينة، حتى أنه ليخيل إليك -إذا

(١) المسلمون في الاتحاد السوفييتي (١/ ٢٥).

قَدِمْتَ إلى إحدى المدن- أنك دخلت جمهورية أخرى؛ فالفنادق مثلًا لا تقبلُك نزيلًا عندها وليس معك تأشيرةٌ لدخول هذه المدينة، ولقد دخلنا مدينة خوقند من وادي فرغانة في ساعة متأخرة من الليل، فقصدنا الفندق وأبرزنا له الجوازات فلم يَقبلنا، فقلنا له: ولِمَ؟ قال: ليس معكم تأشيرة لدخول المدينة، فقلنا له: أوَليسَتْ من مدن أوزبكستان ونحن نحمل تأشيرة لدخول الدولة، فلم يقبل.

فالمطلوب من الزائر أن يأخذ تأشيرةً لجميع المدن!

٢٤- ربطُ الناس على مُختلف طبقاتهم ومستوياتهم بالدولة عن طريق الاقتصاد الذي سيطروا على جميع وسائله وطرقه؛ حيث تسيطر الدولة على عامة المزارع والمحلات التجارية، والمصانع، وسيارات النقل والأجرة، والعمائر الكبيرة، وجميع الثروات، ولا يملك الناس سوى بيوتهم وسياراتهم الخصوصية.

٢٥- أثناءَ الحرب العالمية الثانية وبعدها حاولتِ الدولةُ أن تُظهِر للوفود الرسمية التسامح، فأذِنتْ بإقامة مسجد في كل ولاية لا يتسع لأكثر من خمسمائة مصل، ولكن لا يجوز أن يدخله مَن عُمرُه أقلُّ من خمسين عامًا، وليت الأمر انتهى على ذلك، بل إنَّ الدولة هي التي تُعيِّن الإمام ويُشترط أن يكون من الحزب أو من المخابرات، وعليه أن يكتب التقارير عن كل داخل إلى المسجد.

وأنشأت كذلك إدارات دينية تحت إشرافها، ومدرستين هما: مدرسة مير عرب في بُخارَى، ومعهد البخاري في طشقند، وكان المسؤولون عنها من فُجَّار القوم، وقد حدثني مَن دَرَس في مدرسة مير عرب في بُخارَى أيام الشيوعية، أنه كان يدخل عليهم المدرِّسُ ولَمَّا يصحُ بعدُ من الخمر.

حيالَ ذلك كلِّه نشأت أجيالٌ لا تعرف مِن الإسلام إلا اسْمَهُ! ولا من القرآن شيئًا حتى رسْمَهُ، حيثُ تجد عددًا كبيرًا مِن المسلمين لم يَسبِقْ له أن رأى المصحف.

وبعد هذا العرض المُجمَلِ عن خُطط الشيوعية في طَمْس نور الإسلام من قلوب الناس، حيث لا مصحفٌ ولا كتاب، ولا عالم ولا داعية، ولا مسجد ولا مدرسة، هل نظنُّ أنه بقي في هذه الديار من يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة...؟ وجواب هذا في الفقرة التالية:

ثالثًا: المسلمون صُمودٌ وتَحدٍّ للإلحاد

لقد قاوم المسلمون -ولا أعني كل المسلمين- جميعَ موجات الكفر ومخططاته بعود صلب، وهمة عالية، وقناةٍ لا تلين، وعزة بدين الله، وهذا يدل على أن أولئك القوم كانوا يحملون هم الإسلام في قلوبهم، ومن كان يحمل هم الإسلام في قلبه فلابد أن يجد مجالًا ومخرجًا لتبليغ دين الله تعالى.

فكان من مظاهر مقاومة المسلمين للإلحاد ما يلي:

١- الدولةُ -كما هو معلوم- فرَضَتْ عليهم الإلحادَ وإنكار وجود الخالق، ولكن للمسلمين عادةٌ -وأقول هذه حسنة في تلك البلاد فقط- وهذه العادة هي رفع اليدين في الدعاء في أحوال كثيرة، ومنها: عند قدوم الضيف يرفعون أيديهم بالدعاء، وعند حضور الطعام، وعند رفعه، وعند ملاقاة بعضهم بعضًا، وغير ذلك من المواطن، وقد لاحظ ذلك أحد الزملاء فقال لي: عجيبة هذه العادة! وهل لها دليل؟ فقلت: هذه العادةُ أكبر ضربةٍ على رؤوس الشيوعيين، فهي تدل على معانٍ عظيمة، منها: إثباتُ وجود الله، وإثبات علو الله تعالى، وصرف العبادة لله الواحد القهار، فالدعاء هو العبادة كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذه ميزة طيبة تربَّى عليها الأطفال ونشأ عليها الشبان، وهي عادة عامة عندهم جميعًا حتى فساقهم وفجارهم.

٢- تربيةُ الأولاد على بغض الروس وكراهيتهم، والنُّفرةِ من عاداتهم وتقاليدهم: وهذا أمرٌ عجيب وطيِّب، فالطفل مثلًا إذا سألته عن جاره الروسي تجده يبغضه وينفر منه.

وقد سألتُ أحدَ الثقات هناك فقلت له: التدخين في المسلمين قليل، فلِمَ؟ هل هذا راجع إلى قلة الدخان أم غلائه أم ماذا؟ فقال: لا، إن الناس عندنا -يعني المسلمين-يقولون: التدخين من عادة الروس؛ ولذا فكثير منهم يتركها! ثم سألته: النساء عندكم متبرجات ومع ذلك لم أرَ امرأة تقود السيارة فلماذا؟ فقال: إن قيادة السيارة من عادة الروسيات والمسلمون يكرهونها.

٣- إرضاعُ الأطفال بُغضَ الشيوعية وعداوتَها واعتقاد كذبها: فلقد قابلتُ عددًا كبيرًا من الطلاب -وقد درسوا في مدارس الشيوعية- فإذا سألتَهُ هل أحد من أقاربك شيوعي؟ أشاح بوجهه وكره ذلك السؤال، واستغربه! وقال: أعوذ بالله، سبحان الله.

٤- تعليم الأولاد أحكام دينهم والاعتزاز به: وهذا على حسب علم أهل البيت وما تَبَقَّى عندهم من أحكام الإسلام وأقلُّهُم علمًا يُعلِّمُهم الشهادتين.

ولقد قابلتُ عددًا من الأطفال في كثير من المدن والأحياء ووجدتُ بينهم تبايُنًا واضحًا في معرفة الإسلام، فبعضُهم لا يعرِف إلا الشهادتين، وبعضهم لا يعرف إلا بسم الله الرحمن الرحيم، وبعضهم يحفظُ شيئًا من القرآن، وبعضهم يحفظ جميع أسماء الله الحسنى.

ومررت بمدارسَ قديمةٍ في مدينة خيوة من خوارزم، ورأيتُ أطفالًا تتراوح أعمارهم ما بين سن الثالثة والخامسة، يصعدون على شرفات هذه المدرسة، فقلت لهم -بعد أن وضعت أصبعي في أذني- الله أكبر، فما شعرت إلا وقد وضعوا أيديهم في آذانهم وبدأوا ينادون: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، ففرحتُ -يعلم الله- فرحًا عظيمًا.

٥- **التعليم السري:** وهذا النشاط يدُلُّ على أنَّ أولئك القوم كانوا يحملون في قلوبهم الحرقة على دين الله عَزَّوَجَلَّ مع ما هم فيه من الغربة الشديدة، ومن الضغطِ العجيب، وفُقدان المصاحف وكُتبِ العلم، ومن الفقر وقلة ذات اليد، مع ذلك كلِّه، فقد قام عدد من المنتسبين إلى العلم بتعليم القرآن، وأحكام الإسلام سِرًّا في السراديب في حجرات في بيوتهم، وهذا التعليمُ يتقرَّبُ صاحبه به إلى الله تعالى لا يُريد مِن أحدٍ جزاء ولا شكورًا، فالطالب يسكن في البيت، ويأكل، ويشرب، وينام، ويلبس، كل ذلك على صاحب الحجرة.

وقد قام نظامُ الحجرات على تكليف الأخيار -سواءٌ كانوا طلابَ علم أو محبِّين للخير- بضم طالبَين أو ثلاثة إليهم على أن لا يزيد على خمسة، فإن كان المستضيفُ طالبَ علم قام بتعليمهم فيبدأ بكتاب الله، وأحكامِ الصلاة والصيام والأحكام الضرورية، ثم يُعلِّمهم سيرةَ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين، ثم يعلمهم اللغةَ العربية والصرفَ والنحو.

ويُشترط في الطالب أن يكون من الغرباء، فلا يكون من نفس المدينة أو القرية، فمثلًا: إذا كان المدرِّسُ في جمهورية أوزبكستان فالطالب يأتيه من طاجكستان أو من غيرها، بل إنني وجدت في بعض الحجرات طلابًا يبعُدُون عن أهلهم مسافةً

تُعَدُّ بآلاف الكيلومترات، وغالبًا ما يكون هؤلاء الشبابُ ممَّن تخرَّجوا من المدارس الثانوية الحكومية الإلزامية، وذلك أنَّ الدراسة الجامعية عندهم ليست إلزامية، وهؤلاء الشباب الغرباءُ يجلسون عند هذا الشيخ في الغرفة مُدَّة ثلاث سنوات، لا يَزورون أهلَهم إلا في الصيف، ولا يَخرُج الطالب مِن هذه الغرفة إلا مرَّةً واحدة في الأسبوع للاستحمام؛ لأنَّ أغلب بيوتهم لا يوجد فيها حمَّامات، ولقد دخلتُ بعضَ هذه الحجرات فرأيتُ مِن صبرهم وجَلَدهم على التعليم أمرًا عجيبًا، يفتقده كثيرٌ من طلاب العلم في العالم الإسلاميّ، تجد شابًّا في السَّنَة السادسةَ عشرة من عُمره أو أكثرَ جالسًا في غرفة مظلمة، والكتاب بين يديه، ومما يلفت النظر أنه ليس للتعليم عندهُم وقتٌ محدّد، فمتى ما زُرتَهُم تَجدْهم عاكفين على التعليم، في الصباحِ والظهر والعصر والعشاء وآخرِ الليل!

أما إن كان صاحبُ البيت ليس عنده علمٌ فإنَّ الطلاب يُعطَوْنَ الكُتبَ في بيته يَدرُسونها، ثم يأتي الأستاذُ إليهم مرَّةً واحدة في اليوم أو اليومين أو اكثرَ حسب بُعْد المنطقة، سواءٌ كانوا قريبين منه أو بعيدين، يرحلُ إليهم ويَمُرُّ على الحجرات كُلِّها، ويكون هذا آخرَ الليل خوفًا من أن يطَّلع عليه أحد، فيمُرُّ على الطلاب فيلتقيهم في ساعةٍ متأخرة من الليل، فيدارسهم القرآنَ والسنةَ وباقيَ الدروس.

هذا دأبُهُم في التعليم منذُ سنين طويلة، ولا يعلم بهم أحدٌ حتى جارهم في البيت، وقد قابلتُ عددًا كبيرًا من هؤلاء الطلاب فوجدتُ بعضَهُم يحفظ القرآن كلَّهُ حفظًا جيدًا، ولما سألتُ بعضَهم كيف حفظت القرآن؟ قال: في الحجرة، في جمهورية كذا، قلت له: أليس في هذه الجمهورية التي تسكن فيها حجرات؟ قال: بلى، ولكنَّ العلم

لابُدَّ له من الغربة، فقلتُ له: على يدِ مَن تعلَّمت؟ قال: على يد الشيخ عبد الله، قلت: مَن عبد الله؟ قال: لا أعرفه، هذا عندنا عيب!

نعم، ثلاثَ سنوات لا يَعرِف شيخَهُ! وذلك حتى لا تكشِفَهم المخابرات.

وهذه الطريقةُ في التعليم شاملةٌ الجنسَينِ الذكور والإناث، فالمرأة في بيتها وحجرتها بناتٌ تُدرِّسُهنَّ، والأبُ في حجرته شبابٌ يُدرِّسُهم.

وبعد خروج الرُّوس خرج من هذه الحجرات آلافُ الطلاب وكلُّهم على قدْرٍ لا بأسَ به من المعرفة، على الأقل مما يُعلَم من الدين بالضرورة، ويحفظون حظًّا وافرًا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

٦- تربية الأولاد على حُبِّ العربية لغةَ القرآن: فالأب والأم يُربُّون الطفلَ على حُبِّ اللغة العربية وتقديرها، وبعضهم لا يعرفها ولم يسبق له أن رأى الحروفَ العربية.

وقد حدثني رجلٌ من الثقات قال: كنتُ ابنَ عشر سنين، فوجدت ورقةً مكتوبًا فيها بالحروف العربية وقد طُرِحتْ على الأرض فأخذتها ثم بكيت، وذهبت بها أجري إلى أمي وأقول: هذه أحرفُ القرآن لا يحترمونها بل يُلقونها على الأرض، فأخذتها أمي وطيَّبتها -وكان لنا صندوقٌ فيه مصحف- فوضَعَتْها في المصحف، فلما عرَفتُ العربية وكبرتُ فتَحتُ المصحفَ وأخذتُ الوقة فإذا هي أنباءُ موسكو بالعربية!

ثُمَّ إنَّ الصمود ليس شاملًا لجميع المسلمين، بل لنسبة كبيرة منهم، فلقد قابلتُ عددًا من المسلمين لا يعرِفون شيئًا عن الإسلام إلا مجردَ الانتساب إليه بالاسم أو النَّسَب.

رابعًا: مشاهدُ تَسُرُّ المسلم

لقد سرَّني كثيرٌ من أحوال تلك البلاد، وما كنت لأنتظرَ ذلك أبدًا، وقد سَجَّلتُ عِدَّةَ أشياء تدخل السرور على المسلم، منها:

١- أن الناس هناك عمومًا على الفطرة، وإن كان ظاهرُهم الإعراضَ عن الإسلام:

فالمرأةُ المتبرِّجة لم تتعرَّ عنادًا أو عصيانًا كالمرأة في البلادِ العربية، لا ولكن جهلًا منها، فمتى عَرَفت شيئًا من دينها بادرتْ إلى تطبيقه، فمثلًا إذا دخلنا المحلات التجارية -وكل البائعات فيها نساء- ورأتْنَا امرأةٌ استغربَتْ الشكلَ فتسألُ صاحبي: عربستان؟ أي: من العرب؟ قال: نعم، ومن المدينة المنورة، فتَشْهَقُ فرحًا وشوقًا إلى تلك الديار، وتقديرًا لنا تَضَعُ يدَها على صدرها، ثم تتنفَّسُ الصُّعَداء وتَزفِرُ زَفرةً تُوضِحُ شوقَها وحُبَّها إلى ديار الإسلام وأهله.

ولقد سكنتُ في فُندُق بتشاوز -من دولة تركمانستان- فلمَّا علمت مسؤولةُ الفندق أنَّنا من البلاد طلبَتْ منا مُصحفًا -وكان طلبُها في نظرها شِبْهَ المستحيل- فأعطيناها مصحفًا، ففرِحَتْ فرحًا شديدًا أبكاها، ووضعته على رأسها ثم أخذت تُقَبِّلُه قائلة: أنا أملك مصحفًا! ثم ذهبت إلى مكتبها، ووضعته في أعلى مكان منه متمنيةً سُرعةَ انتهاء دوامِها حتى تذهبَ به إلى بيتها.

فالناسُ هناك في العموم على الفطرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]، حُبٌّ للإسلام، وحُبٌّ للعرب المسلمين خاصة؛ لأنَّهم حَمَلَة الإسلام

كما هو معلوم لديهم، ويتصورون أنَّهم ما زالوا كذلك حتى الآن، وحُبٍّ لبلادِ الحرمين الشريفين خاصَّةً.

٢- ترابُط الأسرة، وقِوامةُ الرجل على أهل بيته، وقيام المرأة بشأن بيتها أمرٌ مشاهد عندهم:

فتَجِدُ البيتَ فيه الأبُ والأم، والأولادُ وزوجاتهم، والمرأةُ تقوم بشأن البيتِ كلِّه: تطحَن، وتخبزُ، وتطبخ، وتنظِّف، وتخيط... إلخ.

٣- الكرم وحسن الضيافة:

أما كرَمُهم فلم أرَ أحدًا أكرمَ للضَّيفِ منهم مع الفرَحِ والسُّرور والابتهاج، فلا يُتصوَّر أنَّ أحدًا يذهب إلى تلك البلاد -وفيه خيرٌ ودين ويعلَم به المسلمون- يَدفع شيئًا من عندِهِ لطعامٍ أو شراب، ووالله -ولا أكونُ حانثًا في قسمي- لم أرَ أكرمَ من أولئك الناس حتى أنكرنا عليهم بعضَ المبالغةِ في كرَمِهم.

فإذا دعاك أحدٌ إلى بيته فلا تتصوَّرْ أنَّك ستطرُقُ الباب عليه، بل إنَّك ستجدُ أهل البيت كلَّهُم ينتظرونَكَ عند الباب! فإذا دخلتَ البيت فمكانُكَ أحسنُ المجالس! ولا يجلسون حتى تجلس! أما حذاؤك فينظَّفُ! وإذا كان بحاجةٍ إلى صِبغةٍ صبغوه لك! أما الطعام فيقدَّم إليك قبل جلوسِك ويأتيك منه كلُّ نوع ويقرِّؤون لك أحسنَه وأطيبه، أما غَسل اليد قبل الطعام وبعده فيأتيك الماءُ مع المنديل وأنت جالسٌ، أما إن طلبتَ الوضوء -فكما قال صاحبي: لا تفعل فسيحشُدون ويحتفلون لنا- يقومُ أهل البيت: هذا يأتيك بالماء الحار، وهذا يقدم الحذاء، وهذا يُمسك لك المنديل، وهذا يَدُلُّكَ على دورة المياه ويفتح لك الباب، ولن تخرج من بيت الضيافة إلا وقد أهدوك هدية!

- والقَصصُ في كرمهم كثيرةٌ وأقتصر منها على قصتين، تَدُلَّان على كرمهم وحسن ضيافتهم:

الأولى: خرجنا من مدينة (طشقد) قُبيلَ المغرب، وبعد مسيرة ثلاثين كيلًا غربتِ الشمس، فقصَدْنا شخصًا يَعرِفه أحدُ المرافقين لنا، ففرح بنا فرحًا شديدًا، وأدخَلَنا بيتَه على سرورٍ منه وفرح، وما هي إلا دقائق حتى قدَّم لنا الطعام، وما زال يقدم لنا أنواعًا من الأطعمة، فما استطعنا أن نوقف سيلَ الأطعمة إلا بالمناداة للصلاة، فلمَّا أدَّينا الصلاةَ استأذنَّاه في الخروج، فبكى وطلب منا أن نَبيتَ عنده، وقال: ما أكرمتُكم، ثم أخذ في الإلحاح علينا علَّنا ننامُ عنده، فلما علِمَ إصرارَنا على المسير قال: متى ترجعون إلى طشقند؟ فقلنا: بعد عشرة أيام، فلما قدمنا (طشقند) وجدناه واقفًا على باب الفُندق صباحًا، فحاولتُ الحديث معه ولكنه لا يعرِف العربية، وسَمَّى لي شخصًا ممَّن يصحبوننا طالبًا ملاقاتَهُ يريد مقابلته، فدخلت الفندق وبحثتُ عنه فلم أجده، فخرجتُ إليه وأخبرته وطلبت منه أن يدخل فأبى، فدخلت الفندقَ وظَننتُ أنه سيذهب، ولكنه بقي على باب الفندق حتى جاء صاحبُه بعد العصر، فقال: لابد من أن يزورني الضيوف الكرام، فقال له: إنَّ سفرَهم صباحًا ولا يستطيعون تلبيةَ الدعوة، وإذا معه بعضُ الهدايا من عسلٍ مُصفًّى في برميل يبلغ وزنه خمسين كيلًا، فأقنَعَهُ صاحبي بعد الإلحاح أنَّا لا نستطيع حملَهُ بسبب الجمارك، وظنَنَّا أنَّ الأمر انتهَى إلى هذا، وبعدَ صلاة العشاء نزلتُ من الفندق فإذا صاحبُنا على بابه فأدخلته غرفتي فبدأ يبكي! كيف نذهبُ ولم نَزُرْهُ؟ ثم أعطاني لباسًا مِن ألبستهم وسِكِّينًا -فهُم يشتهرون بصناعة السكاكين الجيدة-

وجُزءًا من العسل، ولصاحبي مثلُ ذلك، فحاولت إقناعَهُ أن لا نأخُذُها وأنَّنا قد ربطنا أمتعتَنا، فبكى! فأخذتها مجاملةً، ثم خرج مودِّعًا لنا باكيًا!

الثانية: التقينا بعضَ زملائِنا من أهل الرياض في مدينة (طشقند) فتجاذبنا وإيَّاهم أطرافَ الحديث، فذكروا لنا بعضَ ما شاهدوه من كرم الناس، فقالوا: وجدنا رجُلًا يزيد عمره على الأربعين في (طشقند) فقال: أَوَدُّ أن تزورونا في قريتي؛ فأُمِّي منذُ زمنٍ تريد أن ترى أحدًا من أهل مكة أو المدينة، قلنا: كم تبعد قريتك عن (طشقند)؟ قال: قرابة ستمائة كيلًا، فقلنا له: (إن شاء الله سنَزُورك) -كعادتنا في كل مَن طلب منا الزيارة- نُسوِّفُ له، فإن حانت فرصةٌ فعلنا، ولكنَّ الرجُل فهم منا القبولَ فسافر إلى قريته ووصل إلى أُمِّه ليلًا، وأخبرها الخبر، فأخذت تبكي من الفرح حتى الفجر، وفي الصباح اشترت ضأنًا بمبلغ ألفي روبل -علمًا أن راتب أُستاذ الجامعة عندهم ألف روبل- وذبحته وطبخته، فلما جاء الظُّهْر خرج أهل القرية كلهم ومعهم الأعلامُ والرَّاياتُ إلى ظاهر القرية لاستقبال الضيوف ومعهم المرأة، فلما جاء العصر ولم يحضر الضيوف أَمَرَتْ ولدَها بأن يُحضِر طبيبًا خشية أن يكون أحدٌ منهم قد مرض، ثم بَقُوا في انتظارهم حتى العشاء الآخرة، فقال الرجل لأُمِّهِ: نرجِعُ؟ فقالت: لا، إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واعد رجلًا فجلس ينتظره ثلاثةَ أيام، وأنا سأنتظرهم سبعةَ أيام، وبعد الإلحاح عليها خشيةَ البرد رجعت إلى البيتِ على أن يُسافر ابنُها في طلب الضيوف، أما الضيوف فقد سافروا إلى مدينة أخرى؛ لاعتقادهم أنَّهم لم يُعيِّنُوا له مَوعِدًا، فخرج الرجال يبحَثُ عنهم حتى وجدهم، فقال لهم: أين الموعدُ؟ فقالوا -واستغربوا-: وهل واعدناك؟ فلما أخبرهم بانتظارِ الناس لهم رجَعُوا معه، فوجدوا الناس في

انتظارهم في ظاهر القرية ومعهم الراياتُ، فلما رأوهم رفعوا أصواتهم بالتكبير، وأسرعت المرأةُ وأكبت عليهم تريد تقبيل أيديهم، فابتعدوا عنها، ثم أكبت على أقدامهم تُقَبِّلُها، فلمَّا دخلوا القريةَ وجدوا طريقهم قد فُرِش إلى البيت، قالوا: فلما جلسنا على الطَّعام والعجوزُ قريبًا منا أخذت تبكي فرحًا حتى خشينا عليها من التَّشَنُّجِ، فلما أكلوا أحضَرتِ المرأةُ نفسُها لهم الماء للتَّغسيل ومعها المنديل وأَبَتْ أن يأخذَهُ أحَدٌ منها، قالوا: ثم ذهبنا إلى المسجد فإذا الناسُ مجتمعون فيه، فأخذ الصغارُ في التَّكبير والكبارُ في البكاء عند مَرْآنا!

هذا والقصص في كرمهم كثيرةٌ، ولكنْ ذكرتُ هاتين القصتين للتَّدليلِ فقط.

٤- الأدبُ الإسلاميُّ وحسن الخلق:

شبابٌ عاشَ في جَوِّ الإلحاد والضياع، ولكنَّ أدبَ الإسلام وأخلاقَهُ تراهُ باديًا عليهم، فالشبابُ مثلًا لا يمكن أن يَمُدَّ رجليه بين يديك، بل ولا يَجلس متربِّعًا، وإنما جِلْستُه أمامَك كجِلْسة التشهُّد! أمَّا إن طلبتَ منه أن يقرأ عليك شيئًا مِن القرآن، فاليدان على الفخذين والرأسُ مُطَأطأٌ والبَصَرُ في حِجْرِهِ والعَرَقُ يسيل من جبينه!

لا يتقدَّم الصغيرُ على الكبير، ولا يَتكلَّمُ الولَدُ بحضرةِ والدِهِ إلا بإذنِهِ، ولا يعمل الوالد مع وُجود ولده.

يَسودُ بينهم الإيثارُ والاحترام.

يَرقُبون حركتَك بعَيْنِ التَّقدير والاحترام، فإنْ أردت القيامَ قامُوا جميعًا ليُقدِّموا لك ما تريد.

٥- الصبر والجلد والغُربة في طلب العلم:

وقد ذكرتُ سابقًا شيئًا من صبرهم وجلدهم وتحمُّلهم في طلب العلم وتحصيلِهِ، ولقد زرتُ قرية (طبق سه)، وهي تَبعُد عن طشقند قُرابةَ ستين كيلو مترًا، فدخلتُ مدرسةً فيها أكثرُ من سبعين طالبًا أعمارُهم بين الثانية عشرة والعشرين سنة، وكلُّهم غرباء، قَدِمُوا من مسافات بعيدة للتَّعلُّم، وكانوا على مستوًى متقارب من حيث الفهمُ والمقصِد والأهداف، تسود بينهم المحبَّةُ والأُخُوَّة والإيثار، يخدِمُون أنفسَهم، فهم الذين يَطبُخُون ويَغسِلون ويُنظِّفون.

وقد التقيتهم واحدًا واحدًا، وكان منهم شابٌّ عمرُهُ ستَّ عشرةَ سنة قدم من سيبريا، وهي تبعد عن مكان المدرسة أكثر من ألف كيلو متر، فقلتُ له: لماذا تركتَ أهلَك وقدِمتَ إلى هذا المكان؟ قال: لطلب الدِّين! فقلت له: متى تَزُور أهلك؟ قال: في الصيف أذهب إلى أهلي.

سبحان الله! شابٌّ في هذا العمر ويَعيشُ في جَوِّ الإلحاد والضلال ثم يتغرَّبُ فيقطعُ مسافاتٍ شاسعةً مفارِقًا الأهلَ والخِلَّان والوطن في طلب الدين! إنَّ هذ المجتمع يحمل مقوِّماتٍ وخصالًا عظيمة ينبغي تنميتُها وتوجيهُها لخدمة الإسلام.

٦- احترامُ أهلِ العلم وإجلالهم:

وهذه الخَصلةُ الحميدة سائدةٌ بين مُختلِفِ طبقاتهم على تفاوُتِ مستوياتهم في العلم والالتزام، فإذا قدِمَ عليهم أو مرَّ بهم طالبُ علمٍ احترموه وقدَّروه وفسَحُوا له في الطَّريق.

ولقد وقفتُ في الشارع أطلُبُ سيَّارةً فتوقَّف لي صاحبُ سيارة خاصة في وسط الطريق، وكاد أن يتسبب في وقوع حادث، ثم أمسك به شرطيُّ المرور فسجَّل عليه مخالفة، وقال لي صاحبُ السيارة: أنا موظَّفٌ ذاهبٌ إلى عملي، ولكن لما رأيتُك قلت: هذا من العلماء فتوقفت لك!

وهذا الاحترام ليس خاصًّا بالمدنيين فقط، بل إنني وجدتُ من العسكريين المسلمين تقديرًا واحترامًا يَفقِدُه كثيرٌ من الناس عندنا اليوم، فما تَمُرُّ في نقطة تفتيش مثلًا إلا وتجِدُ أوَّلَ ما يُبادرونك به تحيَّةَ الإسلام (**السلامُ عليكم ورحمة الله**) ويَعرِضُون عليك بإلحاح النُّزولَ عندهم.

٧- مطالبُ المسلمين في طاجكستان تمُثِّلُ الاعتزازَ بالدِّين:

لَمَّا تَمَزَّقَ الاتحادُ السوفييتي تنفَّس المسلمون الصُّعَداءَ، وحاولوا إعادةَ بناء كِيَانِهم الممزَّقِ، وإظهارِ تميُّزِهم من أهل الملل الأخرى، والانضمامِ إلى كِيَان الأمة الإسلامية الكبير، لذا قاموا بالاعتصام في ميادين العاصمة (دو شنبه) وضربوا في الميادين أكثرَ من أربعمائة وخمسين خيمة، واعتصموا بها -على هُطول الأمطارِ والثلوج- أكثرَ من عشرين يومًا من آخر رمضان إلى آخر شوال، وقد صَلَّوُا العيد في ميدان لينين، مطالبين الدولةَ بعِدَّةِ مطالب، منها: أن تكون الأحرفُ العربيةُ هي أحرفَ الكتابة لهم، وأن يكون الذبحُ على الطريقة الإسلامية، وأن يكون يومُ الجمعة هو إجازة الأسبوع، وأن يكون يَومَا العيدين إجازةً رسمية، وأن يُفسَح لبناء المساجد، وتُرفَع عنها الضرائب... إلى آخر ذلك من المطالب.

وقد قدِمتُ العاصمة وشاهدتُ تجمُّعَ المسلمين وهم يرفعون رايةَ (**الله أكبر والنصر لهذا الدين**)، والناس يُقدِمُون إلى هذه الميادين صفوفًا تتلوها صُفوفٌ من شبابٍ وشيب!

وحينَ يُطالبُ أهلُ السنة في طاجكستان بأن تكون الكتابةُ بالأحرف العربية فإن الشيعة في أذربيجان يُطالبون بأن تكون كتابتهم بالأحرف اللاتينية، وقد أقاموا -أي الشيعة- ندوةً حضرها أحدُ الإخوة من هيئة الإغاثة الإسلامية قالوا فيها بالحرف الواحد: «إن الحُروفَ العربيَّة لا تُناسب النطقَ والصَّوتَ في لغتنا، ولا تستطيع تلبيةَ احتياجاتِ اللغة الأذربيجانية»!

انظروا إلى الرَّوافض! كيف محبتُهم للبعد عن لغة القرآن، لغة هذا الدين، ليَعلمَ الجميعُ أنَّ أولئك الشيعةَ ليس هدفُهم رِفعة دينِ الإسلام، وإنما هي قوميةٌ مجوسيةٌ! فالمسلمون من أهل السنة يُنظِّمون مظاهراتٍ واعتصاماتٍ يُطالبون بالأحرفِ العربية، والروافض يُطالبون بالبعد عن الأحرف العربية!

إنَّ الدُّول الغربية -وعلى رأسها حاميةُ الصليبية (أمريكا)- تسعى للضغط على الجمهوريات الإسلامية بأن تكون كتابتُهم بالأحرف اللاتينية بدلًا من الروسية؛ لأنهم يعلمون أنَّ المسلمين لن يقبلوا الأحرفَ الروسية بعد تلك السنين العجاف، وقد عرَضُوا أيضًا عليهم الإسلامَ التركيَّ بشقَّيْهِ (العلماني الحاكم والصوفي الشعبي)! نسألُ الله أن يَقِيَ إخوانَنا هناك شرَّهم وكيدهم.

٨- الحرصُ العجيب على طلب العلم من مَنابعه الأصلية:

لقد لَمَسْتُ من تلك المجتمعات حرصًا عجيبًا على طلب العلم في المدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضلُ الصلاة وأزكى التسليم، والمواقفُ والقصص التي مَرَّتْ بي أكبرُ شاهدٍ على ذلك، وأذكُرُ قِصَّتَين فقط للدلالة على ذلك وهما:

الأولى: قَدِمْنَا إلى مدينة (دوشنبيه) يومَ الجمعة، ثم رَحَلْنَا عنها يوم السبت ولم نلتَقِ عددًا كبيرًا من الطلاب هناك بسبب الاضطرابات والمظاهرات، فعَلِمَ بنا أحدُ الشباب، فهرع إلينا في الفندق، فقيل له: إنهم رحلوا إلى مدينة (دهنو) -مسافة تُقدَّرُ بمائتين وخمسين كيلومترًا- فركب القطار، فلمَّا وصلها صباحَ الأحد قيل له: إنهم رحلوا إلى سمرقند، ثم سيرحلون إلى بُخارَى، فركب القطار إلى بُخارَى، فوصلها يوم الاثنين ظهرًا، فسأل عنا، فقيل له: إنهم ذهبوا إلى القطار ليرحلوا إلى جمهورية (تركمانستان) ولم يكن معه من النفقة ما يكفيه، فطَلَب سيارةً إلى محطة القطار، فاشترط عليه مبلغًا لا يجدُ غيرَهُ، فوافَق على ذلك، فلمَّا وصل محطَّةَ القطار طلب من صاحب السيارة أن يُبقِيَ له ثَمَنَ الخبز، ثم قام بالبحث عنا في محطة القطار فلم يَعْثَرْ على خبرٍ عنا -وكنا في مطعم نتناول طعام الغداء- فوقف على بوابة القطار ورَفَعَ يديه إلى السماء: إنْ وجَدَنا أن يصوم شهرًا كاملًا شكرًا لله تعالى! فلمَّا خرجْنا من المطعم شاهَدَنا، فأسرع إلينا وعانَقَنا، ثم حَمَل عنَّا أمتعتنا، وركب معنا القطار وقال: أنا منذُ يومَيْنِ أبحث عنكم، فأجرينا له المقابلة -الاختبار اللازم للقبول في الجامعة أثناء سير القطار-، ثُمَّ عرَضْنا عليه أن يُسافِرَ مَعَنا، فذكر أنه لا يَحمِل جوازَ السَّفر، وبعد مسيرِنا بثلاث ساعات استأذَنَنا في النزول فعرضنا عليه بعضَ المال، فرفض، فألزمناه به، ثم طلبنا منه شهاداتِهِ، فقال: ليسَتْ معي،

فقلنا له: تَقدَمُ بها علينا في طشقند الأسبوع القادم -إن شاء الله-، وفعلًا في يوم الأحد قدِم طشقند حاملًا أوراقه إلينا.

الثانية: كنا نَعِدُ مَن نقصت أوراقُه ومَن لم نتمكَّن من مقابلته في جميعِ الجمهورياتِ أن يلتقِيَنا في مدينة (طشقند) فلما قدمناها -بعْدَ خروجنا منها بعشرة أيام- وجدنا مئاتٍ من الطلاب ينتظروننا بأحد المساجد، بعضُهم قدِم منذُ أسبوع، والكلُّ مغتربون، وبعضُهُم من كبار السن قد أَتَوْا بأولادهم، وكان مِن بينِهم رجلٌ عُمُرُه عن ستين عامًا قد أحضَرَ معه ولدَهُ الذي يبلغُ ستَّةَ عشرَ عامًا، إلَّا أن جِسمه وصوته يُماثِل مَن عمُرُه اثنا عشر عامًا، فقلنا له: لعلك تنتَظِرُ بالولد سنتين ثم نقابله، فبكَى ثُمَّ بكى معه ولدُهُ، فقلت لصاحبي: لا عليك أن تكتُبَ له استمارةَ الْتِحاق، فلمَّا وصلَ إليَّ لأجْلِ المقابلة أعَدتُ عليه الكلامَ الأوّل، فبكَى، فطلبتُ منِ ابنِهِ أن يقرأ سورة النَّبأ، فلمَّا قرأ عشْرَ آياتٍ بكَى فبكى أبوه، وألحَّ عليَّ في قَبُوله للدراسة، وأنَّه يُريد أن يتربَّى ويتعلّمَ في ديار الإسلام، وأن يكون ذُخرًا له بعد موته، فوعدتُهُ خيرًا، فلما قدِمتُ إلى المسجد اليوم الثاني لإكمال المقابلات وجدتُهُ في المسجد، وكرَّرَ عليَّ طلبَهُ لعلَّهُ يحظى بالقَبُول فوعدتُه خيرًا، وألححتُ عليه أن يُسافر إلى بيته!

٩- التنافس في بناء المساجد:

عاش المسلمون رَدَحًا من الزَّمن وهُم في بُعْدٍ عن بيوت الله بسبب الشيوعية الإلحادية الطاغية، فلمَّا سُمِحَ بإقامة المساجد، سارَعَ الناسُ إلى بنائها وتشييدها من أموالهم الخاصة، على ضيقِ الحال وقلة ذات اليد التي يعانونها، حتى شَمَلتِ المساجدُ كثيرًا من الأحياء، وأصبحت في بعض المدن تُعَدُّ بالمئات.

١٠- عِمارة المساجد بذكر الله:

إنَّ ممَّا يَسُرُّ المسلمَ في تلك البلاد كثرةَ المصلين وخُصوصًا من الشَّباب، وعِمارةَ المساجدِ بطلب العلم وقراءة القرآن، فما تدخلُ مسجدًا في ليلٍ أو نهارٍ إلا تجدُ أناسًا يقرؤون القرآن أو يتعلمون شيئًا من العلم، ولقد جئتُ إلى عِدَّةِ مساجد في أوقاتٍ مختلفة من الليل والنهار فوجدتُها عامرةً بالناس، وأذكر الساعاتِ التي قدمتُ فيها إلى المساجد، وهي: الساعةُ الحاديةَ عشرةَ ليلًا، وبعدَ طلوع الشمس، وبعدَ الظهر، وبعد العصر.

١١- تقبُّلهم التوجيهَ والنصح:

إن كثيرًا من الناس هناك على الفطرة، وعندهم استعدادٌ طيِّب لقبول التوجيه والنصح والإرشاد.

قدِمتُ مدرسةً في مدينة مرغلان، ولما صلَّينا معهم صلاةَ المغرب عرض علينا أحدُ الآباء أن يُسمعنا ابنُه أسماءَ الله الحسنى التي يحفظها عن ظهر قلب، فتلا علينا الابنُ أسماءَ الله الحسنى بصوتٍ جميلٍ رقيقٍ ومؤثِّرٍ حتى أبكى الحاضرين -الله أكبر! أناسٌ يربَّوْن على إنكارِ الخالق، ويُربُّون أولادَهم على حفظ أسماءِ الله الحسنى، وإنَّ كثيرًا من طلَّاب العلم عندنا لا يحفظها- ثُمَّ أمرَهُ أبوه أن يذكُرَ أسماءَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا قرأها وجدت أنَّ بعضَها لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، فقُمْتُ وذكَّرتُهم بعظمة النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبمنزلته، وأنَّنا يجبُ أن نَفدِيَهُ بآبائنا وأمَّهاتنا، وأن نُقَدِّمَ محبَّتَهُ على محبَّة الوالد والولَد والناس أجمعين، لكنَّ هذه الأسماءَ لا تليق إلا بالله عَزَّ وَجَلَّ ولا يرضاها النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قام مَن تَرجَمَ لهم ما قلتُ، ولمَّا

ركبنا السيارةَ لَحِقَني الأبُ وقال: نسِيتُ الأسماءَ، اكتُبْها لي في ورقةٍ، حتى أُعلِّمَها ابْنِي، فكتبتُهَا له، فرأيتُ الفرحَ في وجهه!

وقد قُمنا بتوزيع بعضِ الكتب في العقيدة السليمة الصحيحة مِن كتُبِ الجامعة الإسلامية على بعض أئمة المساجد وغيرِهم، فرأينا بعضَهم يخُطب بها يوم الجمعة، وهذا دليل على تقبُّلِهم التوجيهَ والتعليم.

١٢- عزة النفس:

مع ما هم فيه مِن الفقر وقلَّة ذاتِ اليد عندَهم، وضعف الاقتصاد وقلَّةِ الأعمال فإنَّكَ لا تكاد تجدُ فيهم مُتسوِّلًا، ولا يُرحِّبُون بالمساعدات المالية الشخصية إلا أن تَكُون على شكْلِ هديّة، أو لقيامِ مشرُوعٍ، وقد حاولتُ أن أدفع بعضَ المساعدات لَمن خدَمَنا وأكرَمَنا فرَفضُوا أخذها وعَدُّوها عيبًا، بل أنَّ بعضَهم يَغضبُ عليك إذا مدَدتَ إليه شيئًا من المال مكافأةً على عمله لك.

١٣- وجود عدد كبير من المخطوطات الثمينة:

مع إحراق الشيوعين للكتب العربية فقد بَقي في المنطقة ثلاثُ خزائن للمخطوطات: في طشقند، وأذربيجان، وطاجكستان، إضافة إلى المخطوطات المتناثرة في بيوت الناس، وقد اطَّلعتُ على بعضها، وزرتُ خِزانةَ الكتب في معهد الاستشراق وهي تحوي أكثرَ من أربعين ألفَ مخطوطٍ، أكثرُ من ٣٠٪ منها باللغة العربية، ولم يُفهرَس منها إلا سبعةُ آلاف مخطوط، والباقي لا يزال مجهولًا، وقد سألتهم عن عددٍ من الكتب، فلم يَعرِفوا هل هي عندهم أم لا؟ وتُوجد عندهم مخطوطاتٌ يعود تاريخها إلى سنة مائتين هجرية، وأكثرُ اهتمامهم بكُتب الطب والفلسفة، ولذلك تجدُهم يُبرِزُون كتبَ ابنِ سينا والفارابي وغيرِهما.

ومن العجائب أنه يوجد في مكتبة الشؤون الدينية نسخةٌ من مصاحفِ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي بَعثَها إلى الآفاق، كما يقولون.

١٤- قلوبُ القوم معنا فهل قلوبُنا معهم؟:

إن أولئك الناسَ يحملون في قلوبهم لنا الاحترامَ، ويُكِنُّون لنا الوُدَّ والمحبة، وهُم لم يَرَوْنا، ولقد حَمَّلني كثيرٌ منهم السلامَ على إخوانهم في هذه البلاد.

خامسًا: لِنكُنْ صورةً طيِّبةً للإسلام

إن الناس هناك ينظُرون إلينا نظرةَ احترامٍ وإجلال وإكبار، ويَرَوْنَ أنَّا حُماةُ الإسلام وأهلُهُ، والذَّابُّون عن حياضه، والمسؤولون عن نشره وتبليغه، والعاملون بجميع تعاليمه، فما نَزُور مدرسة أو مسجدًا إلا نَجِدُ أنفسنا بين مَشْهدَيْنِ: كبارٍ يَبكون فرحًا بِمَرآنا، وشبابٍ يُكبِّرون بهجةً بلقيانا، يُحيطون بالسيارة قبل نزولِنا، والكُلُّ يتزاحَمُ لتكتحل عيناه برؤيتنا، وما أن نَنْزِل حتى تمتدَّ الأيدي إلينا من كل جهة، ليُصافحَنا الواحدُ منهم أكثرَ من مرّةٍ! يَخرُج من الجمع ثم يعود! وكأنَّنا نزلنا من الجنة.

أمَّا إن دخلتَ مَتجَرًا أو سوقًا وعَلِم أحدُهُم أنَّك من المدينة فإنَّه يزفر فرحًا وشوقًا، ويُحاول تقديم شيء لك! ولمَّا دخلنا مطار (طاشحوض في تركمانستان) وجلسنا كغيرنا ومعنا أمتعتُنا في صالة المطار، جاء إلينا أحدُ العسكريين وطلب منا أن ندخُل غرفة المدير وقال: سأكونُ حارسًا لأمتعتكم، فلما دخلنا الغرفة رحَّب بنا مَن فيها، وقدَّموا لنا وجبةَ إفطارٍ على فرح وسرُور منهم، فقلت لهم: حان وقتُ إقلاعِ الطائرة، فقالوا: الطائرة تنتظركم حتى تَنتهوا! فلما قمنا إذا أغراضُنا يَحمِلها الجنود، والضباط إلى الطائرة دون فَحْصٍ لها أو تفتيش.

أما عند استقبالنا في المطارات فالصَّالاتُ الراقية هي منزلُنا ومكانُ استقبالنا، أما عند مراكز التفتيش في الطرق البرية فما نقف إلا سمعنا منهم (**السلام عليكم ورحمة الله**)، ثم يبادرونَنا بالاحترام والإجلال والتقدير.

ولهذا ينبغي أن نكونَ صورة طيِّبةً لهذا الدين، فيجب على كل مَن سافر أن يَتمثَّل الإسلامَ قولًا وعملًا، واللهَ اللهَ... لا نُضيِّعِ الأمانة، ونُشوِّهِ السمعة، أو يذهبِ المسافرُ منَّا إلى مكان فيه ريبةٌ، أو تجمعات فيها شبهةٌ، وليتقِ اللهَ أولًا في نفسه؛ فإنه يحمل شِعارَ الإسلام واللهُ مطَّلعٌ عليه، وليتقِ الله ثانيًا في أهل هذه البلاد الطاهرة، لا يُشوِّهْ سُمعتَهُم وصورتهم هناك، وليتقِ الله ثالثًا في أولئك الأقوام؛ فإنَّهُم ينظرون إلى أهل هذه البلاد أنَّهم أهلُ خيرٍ وبِرٍّ وإصلاح وأمانة وعفة.

سادسًا: كلُّ هؤلاء يعملون فأينَ عَمَلُ أهل السنة؟!

إنَّ أعداء الإسلام رأَوْا أنَّ هذه المنطقة من المناطق البكرِ التي يَجِب استغلالُها، وتنفيذُ مخططاتهم فيها.

وهنا أنقُلُ لكم هذه الأخبارَ المؤلمة والقلبُ يكادُ يَتَقطَّع، والكبدُ تكاد تَتَفطّر؛ فلقد تسابَقَ أهلُ الكفر والزندقة إلى استثمار هذه المنطقة الجديدة في العالم، كلٌّ يحاول التفردَ بها عن غيره: اليهود، النصارى، القاديانية، الإسماعيلية، الروافض، الصوفية الغالية: كالنقشبندية والقادرية والبكرية وغيرها، وكلٌّ قد نزل بِثِقَلِهِ إلى استثمار هذه البلاد، ونشرِ عقائدِهِ الفاسدة فيها، ودُولُ الكفر تحاول عزْلَ أهل هذه البلاد عن إخوانهم المسلمين في كل مكان، وتحذِّرُ حُكَّامَها مِن الأصولية كما يقولون.

النَّشاط الصليبيّ:

لقد صلَّيتُ الجمعة في مسجد (تخطباي) في طشقند، وهي آخِرُ جمعةٍ من شَوَّال، فإذا وَفْدٌ نصرَانيٌّ في داخل المسجد مُوفَدٌ من كُليَّةِ الكنيسة في أميركا؛ لدراسة المنطقة دينيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، ومُدَّة هذه الدراسة ستةُ أشهُر، وكانوا يقومون بزيارة كُلِّ موقعٍ، ودخولِ كلِّ تجمُّع، وكانُوا يسألون عن سِرِّ كثرة الشباب في هذا المسجد وعن سَبَبِ تكبيرِهم أحيانًا أثناءَ الدرس الذي يُلقيه الإمام! ولَمَّا سألتهم: كم لكم هنا؟ قالوا: أربعةُ أشهر وبَقِيَ لنا شهران!

وفي يوم السبت قدِمْنا المسجدَ لملاقاةِ الطُّلَّاب، وأثناءَ خروجنا منه وجدنا على بابه عجُوزًا أمريكية، فقلتُ لصاحبي: سَلْها ولا تسألَك! فذكَرَتْ أنَّها دكتورة في جامعة (كولمبيا في نيويورك) -وهذه الجامعة من أكبر الجامعات التنصيرية- وقد قدِمتْ هذه العجوزُ للغرض السابق نفسِهِ، ثم بادرَتْنا إلى الحديث وقالَتْ: أنا أعرِف أنَّكُم من السُّعودية، وقد سبقتمونا في تقديم الخدمات لهذه البلاد، ولكنَّنا سنقدِّمُ لهم كُلَّ ما يريدون وما يطلبون!

وقد ذكَر لي أحدُ الثقات: أنه قد تنصَّر عددٌ من المسلمين في جمهورية قرقيزيا! نتيجةَ الترغيب والإمداد بالأموال، وتقولُ الإحصائيات: إنَّ النصارى وزَّعُوا أكثرَ من خمسين مليون نسخة من الإنجيل بجميع لغات الاتحاد السوفييتي، وجميعِ الأحجام والأشكال، مقروءًا ومسموعًا.

والقناةُ الروسيةُ تبُثُّ دعوةً إلى النصرانية في فقرات متعدِّدة من برامجها! وأحدُ أشهَرِ دعاة النصارى الأمريكيين كان يَظْهَرُ في القناة الروسية التي تُلتقَطُ في جميعِ الجمهوريات مُدَّةَ ثلاثِ ساعاتٍ من يوم الأحد في كلِّ أسبوع، عدا البرامج النصرانية الأخرى.

ولقد تظافَرَتْ دُوَلٌ نصرانيةٌ عديدةٌ على دعم الكنيسة وبرامج التنصير في الاتحاد السوفييتي السابق، وقامُوا ببناء الكنائس في مُختَلِف الجمهوريات، كما قاموا بترجمة الإنجيل إلى جميع لغات شُعوب المنطقة، حتى اللغةِ التي لا يصل عددُ الناطقين بها إلى مائتي ألف! فلقد تُرجِم الإنجيل إلى لغة شعب (قراتشاي) في بلاد القوقاز الذين لا يزيد عددهم عن مائة وستين ألفًا.

وقد قامُوا ببناء الكنائس في طاجكستان وداغستان وغيرهما، كما افتتحوا المدارسَ التنصيرية في مدينة خولو في أجاريا، ويقدِّمون للطلاب السُّكَّر والدقيق والملابس، وقد التحق بها عددٌ من أبناء المسلمين[١].

أما من الناحية التجارية فقد قدِمَتْ وفودٌ كبيرة من الأوربيين والأمريكان واليابان لاستثمار المنطقة، والسيطرة على مواردها واستغلالِ ثَرواتِها، وقد لاحَظْنا كثرةَ الوُفود للغَرَض التِّجاري، فما أن يُغادرَ الفندقَ وفدٌ إلا نزلَهُ وفدٌ آخَر.

النشاط اليهودي:

أما اليهود -عليهم لعائنُ الله- فقد شرَعتْ إسرائيلُ في تمديد بعضِ المشروعات داخلَ هذه الجمهوريات، وبدأ طيرانُ شركة العال اليهوديةَ رِحْلاتِه إليها، وتقوم إسرائيلُ الآن بتنفيذ مشروع زراعي كبير بولاية فرغانة، ومن المعلوم أن ولاية فرغانة من أكثرِ المدن تمسُّكًا بالإسلام، وأقامتْ عددًا من المشروعات المشابهة في جُمهورية قرقيزيا[٢]، وهذه قائمةٌ ببعض أنشطتهم:

١- أوَّلُ من وصل إلى المنطقة وفدٌ من إدراة العمل الإسرائيلية، زار أوزبكستان في بداية عام ١٩٩١م، وكان على رأس الوفد المديرُ العام لخدمة التوظيف، وقد صرَّح الوفدُ بأن كثيرًا من اليهود الذين هاجروا من أوزبكستان إلى إسرائيل يَرغَبون في تنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين!

(١) تقرير قُدِّمَ إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٤١٢هـ (ص٥).
(٢) تقرير إخباري عن الجمهوريات الإسلامية والأقليات المسلمة في الاتحاد السوفييتي، تقدَّمت به لجنةُ البر الإسلامية (ص١١).

٢- وقَّعت شركتان إسرائيليتان هما شركة (أناب للتجارة والاستثمار المحدودة، وشركة مركور) على اتِّفاقيةٍ مع اللجنة الإدارية لولاية خوارزم لإقامة مشاريع لإنتاج النسيج.

٣- قام وفدٌ من جمهورية قرقيزيا بزيارة إسرائيل، وتمَّ الاتفاق على إنشاء جمعيةٍ تجارية إسرائيلية قرقيزية في بشكيك لإنشاء عدد من المشاريع في قرقيزيا!

٤- تم الاتفاق على إنجاز عددٍ من المشاريع الصناعية على يد اليهوديّ السوفييتيّ والمؤلف المشهور جنكز ايتماتوف الذي اتفق مع إسرائيل على إقامة المنشآت التالية في قرقيزيا:

- مصنع للسجائر.
- مصنع إنتاج العلب البوليثلين للمنتجات الغذائية.
- مزرعة نموذجية مساحتها ٢٠٠٠ هكتار بمساعدة إسرائيلية من الناحية الفنية.
- مصنع لتعبئة الحليب.
- شركة لتصنيع آلات الرِّيّ.

٥- قام وزير الزراعة الإسرائيلي أيتان بزيارة قرقيزيا، وبَحثَ معهم إقامةَ مشاريع في مجالات الرِّيّ وإنتاج القطن، وصوامع الحبوب، والبيوت المحمية، وتربية المواشي.

٦- أقامتْ جمهوريةُ أذربيجان اتصالاتٍ رسميَّةً مع إسرائيل! فجرَى توقيعُ بيان مشترك مع الوفد الإسرائيلي، برئاسة الوزير الصهيوني للعلوم والتكنلوجيا

(يوفال نيمان) ورئيس أذربيجان (مطالبوف)، في باكو على اتِّفاقية رِحْلاتٍ جوية بين باكو وتل أبيب كلَّ يوم أربعاء[١].

٧- وفي منتصف عام ١٩٩٢م قام رئيسُ جمهورية أوزبكستان: إسلام كريموف، بزيارة إسرائيل عقد خلالها عِدَّةَ اتفاقيات تعاونية، وبعد رُجوعه أغلقَ الإدارةَ الدِّينية، ثم أحْكَم القبضةَ الحديديَّةَ من جديد على المسلمين! ومنع دخولَ المسلمين من بلاد الحرمين وغيرها إلى أوزبكستان، وطرد جميع مَن زار البلاد في نهاية الصيف سواءٌ انتهت تأشيراتهم أم لم تنته!

أما الإسماعيليَّة الأغاخانية:

فتُحاول الآنَ بناءَ مركزٍ لها تزيد تكلفتُه على مائة مليون دولار في سمرقند، وقد كلَّفَتْها دراسةُ بنائه مائتي مليون روبل!

أما القاديانية:

فقد دخلَتْ جُمهوريات بحر البلطيق، وقامت بنشر مَذهبها بين المسلمين الذين لا يعرفون شيئًا عن الإسلام، وقد حدَّثني أحدُ المسلمين هناك أنَّ القاديانية جاءَتهم من بريطانيا، وأنَّ المسلمين لا يوجد بينهم مَن يُحسِن الإمامة!

أما الروافض (الشيعة):

فلهم تاريخٌ أسودُ مع أهل السنة في تلك البلاد، ولا سيَّما أيامُ الدولة الصفوية في إيران، فقد أحسَّ العثمانيون بالخطر على القفقاز بسبب اتفاق الشاه الصوفي الرَّافضي مع إيفان الرهيب عام ٩٧٨هـ على معاداة العثمانيين في القفقاز!

---

(١) تقرير قُدِّمَ للندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٤١٢هـ (ص٢٥).

ابتدأ الروسُ بمناجزة بلاد القفقاز بعد الانتهاء من بلاد التتار، واتَّفَق الشاه الصوفي الشيعيّ طهماسب والقيصر الروسي إيفان الرهيب، وبَعْد ضَعف العثمانيين احتلَّ الروسُ بلادَ داغستان وسواحلَ بحر الخزر الغربية(١).

وبعد انهيار الشيوعية نزلَ الإيرانيون بثِقَلِهم لمساعدة إخوانهم، وبني مِلَّتهم، والسيطرةِ على أهل السنة والتأثير عليهم، وقد ذكَر لي مُفتي وقاضي طاجكستان أنَّ وزيرَ الخارجية الإيراني زارَهُم وتبرَّع بتوسعةِ مسجدهم، وقد اطَّلعتُ على هذه التوسعة، وذكَر لي أيضًا أنه تبرع بمكافأةِ الطلاب في معهد الإمامِ التِّرمذيّ.

وهناك النشاطُ الإعلاميُّ الذي تَبُثُّهُ إيران لهذه الجمهورية؛ لكون اللغة الفارسية مشتركة بينهم، وكثيرُ من أهل السنة هناك لا يعلمون عن الشيعة شيئًا، ولا يُدرِكون خطرهم، بل وجدتُ عددًا كبيرًا من الشبابِ يَفتخِرُ بهم لجهله بمعتقدهم.

أما الصوفية وأهل الخرافة:

فمع كثرة الطرق الصوفية الغالية عندهم إلَّا أنَّ التأثير الخرافي الذي يُخشى من انتشاره بينهم هو ما يحمله الزُّوَّار -من أهل الخرافة- القادمونَ من بعض البلدان العربية والهند، لأنهم يَرون في العرب خصوصًا القدرة! ويتقبَّلون ما يأتيهم منهم باعتبار أنَّهم أهلُ العلم والإيمان، وفعلًا قام هؤلاء بالدعوة هناك! ونَشْرِ وطَبْعِ الكتب المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في العقيدة، وبناءِ مساجد تحمل أسماءَ رُموزِ أهلِ الخرافة والتصوُّف.

❁❁❁

(١) تقرير قُدِمَ للندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٤١٢هـ (ص١٤).

هذه بعضُ جهود أعداء الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ديارِ العلم والعلماء، ولا شك أنَّ مكْرَ الكفارِ كبيرٌ وتخطيطَهم دقيقٌ، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم:٤٦]، ومَكْرُ الكفَّارِ إلى ضَعْفٍ وزوال، ومتى تحرَّك أهلُ السنَّة وبذلوا ما في وُسعهم في الدعوة إلى الله تعالى فلا قيمةَ له ولا وزن، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦]، وقال الله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آل عمران:١١١].

فلن تخيفنا النصرانيةُ بدُوَلِها، ولا اليهوديةُ بخُطَطِها، ولا الطوائفُ المضلِّلةُ بتَحرُّكاتها إن قُمنا بتبليغ وإرشاد إخواننا هناك، وبذَلْنا ما نستطيعُهُ مِن الجهد والمال في نشر الإسلام بينهم، وإخوانُنا هناك هُم الآنَ بأمسِّ الحاجة إلينا، والساحةُ -ولله الحمد- تَسَعُ كلَّ العاملين، فاللهَ اللهَ... لا تُعَرقِلْ جهةٌ من أهلِ السنَّة جهودَ جهةٍ أخرى من أهل السنة في نشر الخير، بل يجب التنسيقُ بين جميعِ العاملينَ في حَقْلِ الدَّعوة من أهل السنة، وإنِ اختلفت وجهاتُ النَّظَرِ بينَهُم؛ فالساحةُ واسعةٌ ولله الحمد، ولا يمكن أن تُغطِّيَها جهةٌ واحدةٌ، أو جماعة واحدة، فلابد أن نُسارِعَ ونبادرَ في عرض الإسلام في صورته الصحيحة قبلَ أولئك المجرمين، قبلَ أولئك المضلِّلين، قبلَ أولئك الزنادقة، لنُقدِّمَ ما نَستطيعُهُ لدين الله عَزَّوَجَلَّ في بلاد أئمة العلم وثقاتِهِ.

سابعًا: حاجة المسلمين هناك

المنطقةُ تعيش اليومَ مرحلةً حرِجةً، والغربُ يخطِّط لها بأن تنتظم في سلك الدول الإسلامية التي أخذت بالمنهج العلماني؛ فوزير الخارجية الأمريكي اجتمع بالمسؤولين هناك وحضَّهم على ذلك؛ لأنَّ الأعداء لا يريدون الإسلام الذي يحضُّهم على العلم والتقوى والصلاح، ويُرجِعُهم إلى تاريخ آبائهم الأوَّلين، في العلم والتعلُّم، فهم يريدون لهم أن يأخذوا اسمَ الإسلام، أما المحتوى فهو العلمنة والبعدُ عن دين الله عَزَّوَجَلَّ.

المسلمون هناك عاشوا تحتَ وطأة الشيوعية، وباندحارها شعَرُوا وكأنهم خرجوا من سُجونٍ مظلمة، والعدوُّ الآنَ يُخطِّط ويبذُلُ كلَّ شيء، مُحاولةً منه لطمس مَعالم الإسلام في قُلُوب النَّاس، فلقد ذُعِرَ الشرقُ والغربُ من بقاء المسلمين متمسكين بدينهم مع هذه الحربِ الشرسةِ على معتقداتهم وشعائِرهم، وهذه الإبادةِ لعلمائهم لمدَّة سبعين عامًا، ولذا فلابُدَّ من مَدِّ يَدِ العَوْنِ لهم، والمسارعةِ في ذلك وبَذْلِ الوُسْع، والله عَزَّوَجَلَّ أمَرَنا بالمسارعة والمسابقة إلى المغفرة وفعل الخيرات، ووصَفَ بذلك عبادَهُ المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١].

إن كثيرًا من مشاريع أهل السنة مُرتَجَلة! يخلو كثيرٌ منها من التخطيط والدراسة، كما تَتَّسم غالبًا بغياب التَّنسيق؛ إذ لا يَبْني بعضُهم على جُهْد الآخَر،

ولا يستأنس برأيه، لذا لابُدَّ من الدراسة الواعية لأحوالِ المسلمين في كلِّ مكان، ورَصْدِ جوانبِ النَّقْص لديهم لسَدِّها، والجوانبِ الإيجابية لتعزيزِها، وفي نظري أنَّ تلك الديارَ تحتاج إلى كثيرٍ من مُقوِّمات الحياة الإسلامية، مِن أبرزها:

١- **بناء المساجد:** اهتمامُ الناس هناك بصلاة الجماعة وحبُّهم للمساجد واضحٌ، إلَّا أنَّ الإمكانات قد لا تُساعد الجميعَ في بناء المساجد، فلابُدَّ من تكثيف بناء المساجد، واختيارِ المناطق النائية والقُرَى البعيدة، وتَرميمِ القائم منها، واستغلالِ الفُرْصة في ذلك ما دامت تكاليفُ البناء حتى الآن تُعتبر زهيدةً إذا قِيسَتْ بغيرِها من الدول، ورُبَّما تضاعَفتِ الأسعارُ مع التأخُّر.

٢- **المدارسُ الشرعية:** إن المدارسَ الدِّينية في تلك البلاد تَشهد إقبالًا كبيرًا من الكبار والشباب، ولكنْ تفتَقِرُ إلى المناهج المدروسة التي تَتَناسب مع ظروفهم الحاليَّة وتَشكُو من قِلَّة الدَّعْم المادِّيّ والمعنويّ، فلابُدَّ من المسارعة إلى وَضْعِ المناهج السَّليمة الصحيحة التي تَجْمَعُ المسلمين على كتاب الله، وسُنَّة رسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعظيمِ أئمَّة الإسلام، ودعمِ المدارس القائمة بذلك بسخاء.

٣- إنشاءُ عدَدٍ من الكُلِّيَّات الشرعيَّة لتخريج وتأهيل العُلماء والدُّعاة والخُطَباء والأئمة، واختيارُ بعضِ الطُّلَّاب للدِّراسة في الجامعات الإسلاميَّة في الخارج.

٤- فتحُ المكتبات الإسلاميَّة التِّجاريَّة وغيرِ التِّجارية المقروءة والمسموعة، وإقامةُ مراكزَ للترجمة إلى اللغات المحلية، وشراءُ دُورِ الطِّباعة والنَّشْرِ والتَّسجيل، لتَتَولَّى طباعةَ الكُتُب الإسلاميَّة والدَّورِيات والمجلَّات والنَّشَرات؛ لسَدِّ الحاجة الماسَّة في الأسواقِ والمدارسِ والمساجدِ للمصاحف والكتب والنشرات والمطويات

والأشرطة الإسلامية؛ لتُجِيب على أسئلة الحائرين، وتسُدُّ فراغَ الضَّائعين، وتصُدُّ غَزْوَ الملحدين، والطُّوفانَ الكَنَسِيَّ النصرانيَّ؛ فإنَّ الكنيسةَ قدِ استَغَلَّت الانفتاحَ الذي شَهِدَتْهُ تلك الجُمْهُورِيات، فبدأَتْ تُوزِّعُ نَشَراتِها بكميَّات هائلةٍ! بجميع اللُّغات.

٥- إنشاءُ مراكزَ إسلاميةٍ متكاملة في العواصم والمُدن الكبيرة؛ للعناية بالدَّعوة إلى الله، واستغلالُ الوسائل المتاحةِ مثل تنظيمِ برامِجَ وعَقْدِ محاضرات، ودورات؛ لإعداد وتدريب الدعاة والأئمة والخطباء، والاستفادةُ من مواسِمِ الخير مثلِ رمضان لإرسال الدعاة والعلماء؛ لتعليم الناس واستغلالُ تجمُّعهم في مثل هذه المواسم، وتسييرُ قوافلِ الدعوة والإغاثة إلى المناطق النائية، وتنظيمُ الزوَّار والوفود واستغلالُ أوقاتهم، والتركيزُ -وخاصة في البلاد النائية- على تعليم الناس ما يجب أن يُعلَمَ من الدين بالضرورة، مثل: توحيدِ الله عَزَّوَجَلَّ، والوضوء، والصلاة، وغيرِ ذلك من الأحكام المفروضة.

٦- الاستعانةُ بوسائلِ الاتصال الحديثة، كالإذاعات والقنوات الفضائية في إيصال الدعوة والعلم باللغة العربية ولُغاتهم المحلية؛ إذ يُوجَد في بلاد الحرمين -ولله الحمد- مَن يُجيدون تلك اللغات وهم على علمٍ وفقه واعتقاد سليم، فينبغي المطالبةُ بذلك، وتذكير المسؤولين به.

٧- إقامةُ مصانعَ للمسلمين في تلك البلاد، كمصانعِ القطن والحرير؛ إذ لا يوجد عنَدهُم مصانعُ ذاتُ شأنٍ يُذكَر، مع العلم أنَّ النصارى متسابقون إلى ذلك! فينبغي قطعُ الطريق عليهم.

ثامنًا: وصية للمسافر

على المسافر ملاحظة الأمور التالية:

١- وضع البرنامج المناسب لهدفه من الزيارة.

٢- الاتصال بالجهات المهتمة بالدَّعوة في تلك البلاد، والاطِّلاعُ على الكتابات التي كُتِبتْ عنها.

٣- الاتصال بجميع الجهات المعنيَّة بأَمْر الإسلام والدَّعوة، الرسميَّة وغيرها.

٤- أن يَتذكَّر أنَّه يُمثِّل الإسلامَ هناك؛ فَلْيَحذر من التقصير والضَّعف.

٥- أن يُذَكِّر أهل تلك البلادِ بتاريخهم المجيد، معَ رَبْطِهم بالعلماء الأفذاذ الذين عاشُوا في تلك المناطق.

الخاتمة

هذه لمحة سريعة عن تلك البلاد، والموضوعُ يحتاج إلى المزيد، لأنَّها بلادُ أميرِ المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمدِ بن إسماعيل البخاريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبلادُ العلم والعلماء، والصلحاء والأتقياء، والمجاهدين في سبيل الله تعالى أئمَّةِ الإسلام كالترمذي، والنسائي، وابنِ ماجهْ، والدارمي، وعبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وغيرِهم من نجوم هذه البلاد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وقد كان بعضُ السلف يُسميها بلاد التَّقوَى؛ لكثرة العلماء الربانيين فيها، فأهلُ هذه البلادِ هم أحفادُهم وبَنوهم، والمنتَظَرُ أن يسيروا على منهاجهم، وأن يَقْتَفُوا خُطاهم، ويجب علينا نشرُ كُتب هؤلاء العلماء وفِقْهِهم وعقائدِهم وسيَرِهم في تلك البلاد، ليكونَ ذلك مَدْخلًا لتوطين السنة الصحيحة في تلك البلاد المباركة.

المراجع

❁ **الفوائد**، لابن القيم (ت: ٧٥١)، تحقيق أحمد راتب عرموش، الطبعة الخامسة عام ١٤٠٤هـ، دار النفائس، بيروت.

❁ **الجامع الصحيح**، للإمام البخاري (ت: ٢٥٦)، صورة عن الطبعة الأميرية ببولاق عام ١٣١١هـ، بإشراف محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت.

❁ **صحيح الإمام مسلم** (ت: ٢٦١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، عام ١٣٧٤هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

❁ **المسلمون في الاتحاد السوفييتي عبر التاريخ**، لمحمد علي البار، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٣ هـ، دار الشروق، جدة.

❁ **المعلومات** (١٩٩٤ - ١٩٩٥)، إعداد: مكتب الآفاق المتحدة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، مكتب الآفاق المتحدة، الرياض.

المحتويات

المقدمة..... ٥
محاور الحديث..... ٧
أولًا: عـالم جهلناه أرضًا وتاريخًا..... ٩
ثانيًا: الشيوعية ومسخ الهُوِيَّة الإسلامية..... ١٨
ثالثًا: المسلمون صُمودٌ وتَحدٍّ للإلحاد..... ٢٦
رابعًا: مشـاهدُ تَسُرُّ المسلم..... ٣١
خامسًا: لِنكُنْ صورةً طيِّبةً للإسلام..... ٤٤
سادسًـا: كلُّ هؤلاء يعملون..... ٤٦
فأينَ عَمَلُ أهل السنة؟!..... ٤٦
سابعًا: حاجة المسلمين هناك..... ٥٣
ثامنًا: وصية للمسافر..... ٥٦
الخاتمة..... ٥٧
المراجع..... ٥٨

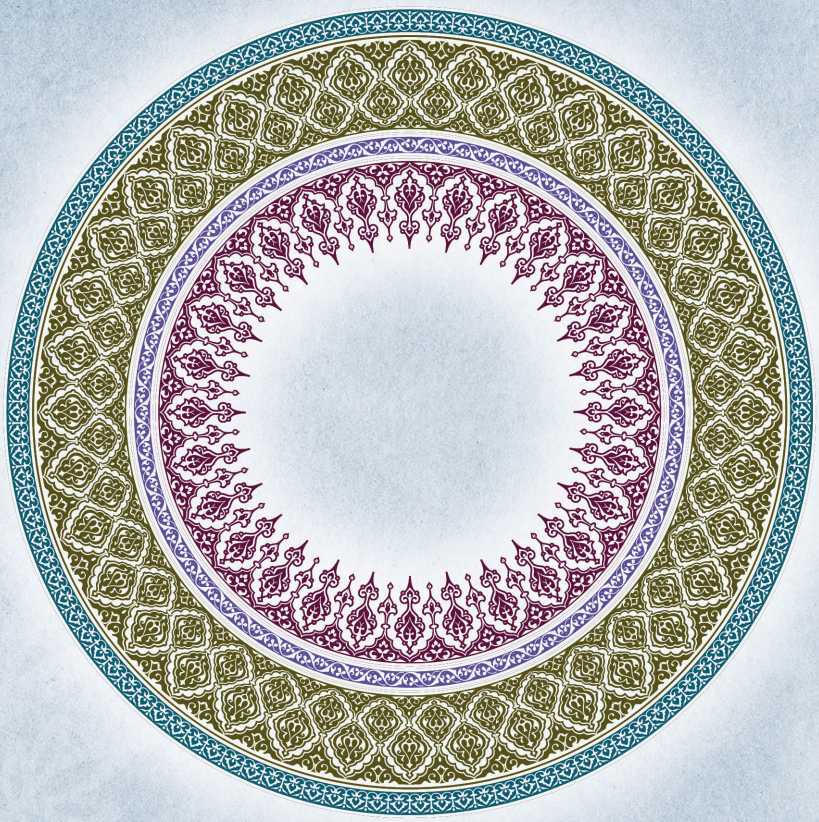

المربي

markaz.almurabbi@gmail.com